

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

2

ما وراء الطبيعة

٣٦

د. أحمد خالد توفيق



مقدمة

كان كتاب (فى كهوف دراجوسان) غريبًا فى كل شىء ، ولاقى إقبالاً منقطع النظير . والإقبال منقطع النظير يعنى أن الجميع اقتناه ، لكنه لا يعنى بطبيعة الحال أن الجميع أحبه . هناك من كانوا مخلصين لطريقة السرد التقليدية التى تتحرك للأمام والأمام فقط ، فلم يقبلوا عنها بديلاً ؛ وبالتالى بدا لهم الكتاب كابوسيًا مربكًا ، وهناك كثيرون ممن هاموا به حبًا واعتبروه حدثًا .. لدى خطابات من قراء يطالبوننى بأن تكون هناك سلسلة دائمة على هذا النسق ، ولدى خطاب من والدة أحد القراء ـ وهى طبيبة فاضلة ـ تعترف بأنها تحب قصصى جدًا لكنها ترجونى ألا أكرر جنون (دراجوسان) ثانية !

على كل حال كان من أحبوه هم أولئك الذين نظروا له كلعبة ، وتركيبه قريب جدًا على كل حال من شكل ألعاب الكمبيوتر من طراز Adventures ، خاصة وهو يعمل بطريقة (إذا كان .. عندئذ .. وإلا) الشهيرة .. وفيما بعد قام بعض الشباب اللامع ـ حوالى العشرين شابًا لامعًا ـ من أكاديمية ITI للكمبيوتر باستخدام هذا الكتيب بالذات ليكون مشروع تخرجهم ؛ حيث قاموا بتحويله إلى لعبة مبهرة ثلاثية الأبعاد بالصوت والصورة ..

لكن تجربة (دراجوسان) لا يمكن أن تتكرر على كل حال ، وإلا بدت

كالدعاية التى قيلت من قبل .. وعدت بأن أقدم لكم تجربة مختلفة فى الكتيب الخاص التالى ، وهأنذا أحاول أن أفى بوعدى ، والوعد مفتوح على كل حال .. كلما خطرت لى فكرة جديدة قدمتها فى كتيب خاص جديد .

هذه قصة مطاطة جدًا ، وإن كانت هى البساطة بعينها .. يمكنك أن تختار رفيقًا يناسبك .. يمكنك أن تختار نوعية الخطر الذى يجب أن تمر به وتختار النهاية التى تفضلها .. كل هذا من خلال ١٢ حبكة فى ٣٦ فصلاً ، لن تشعر بالملل خلالها أو هذا ما أتمناه .. الذين لم يحبوا (دراجوسان) سيجدون أن المحتوى القصصى هنا أكبر ، والذين أحبوها سيجدون أنها لعبة مسلية أخرى .. ومن جديد أكرر بأمانة إننى لا أعرف تجربة سابقة فى العربية تشبه هذه .. فى الإنجليزية هناك بعض ـ أقول بعض ـ قصص (إيلرى كوين) .. فلو اتضح أن دار (الزيزفون) فى (نواكشوط) قدمت تجربة مماثلة عام ١٩١٦ فلا ذنب لى ..

فى النهاية يمكنك أن تعود هنا لتلوم نفسك على خياراتك غير الموفقة ، لكن لا تقلق .. يحسب المرء دومًا أنه أخطأ الاختيار وأن العشب أكثر نضارة فى الجانب الآخر .. من يدرى ؟

وكما يقول الشاعر الكبير (صلاح عبد الصبور) :

فلو اخترنا لاخترنا أخطاء أكثر ، وقتلنا أنفسنا ندما ..

لقد حلم كثيرون بأن تحوى الحياة زر Undo كما فى برامج الكمبيوتر ليصحح أخطاءك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية الصيدلة ؟ لماذا فضلت (غادة) على (لمياء) ؟ لماذا التهمت السبانخ بدلاً من البازلاء ؟ ليتك اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه القصة تحقق لك هذا الحلم ..

فقط ابدأ القراءة ، ولتكن اختياراتك حكيمة أو تبدو كذلك ..

★ ★ ★

هذا هو العجوز (رفعت إسماعيل) .. كلنا يعرفه ويفهمه .. لكنه بحاجة إلى حليف .. اختر له حليفًا من القائمة التالية ، ثم انتقل إلى الصفحة التالية :

١ ـ (ماجى ماكيلوب) : حبيبته المخلصة التى عرفها منذ كان يدرس فى (أسكتلندا) ، والتى ارتبطت معه بعهد خفى دائم حتى تحترق النجوم .

٢ ـ (عزت) : المهندس السابق جار (رفعت) ، والشاب النحيل المصاب بمرض عضال .. إنه الإخلاص بعينه لكنه يقع فى مشاكل دائمة .

٣ ـ (هن ـ تشو ـ كان) : آخر الباقين من عقيدة تبتية منسية ، وهو الذى فر من عالمه ليجد نفسه بيننا .. إنه شديد النبل والشجاعة بالإضافة إلى قدراته شبه الخارقة ..

هذا هو العجوز (رفعت إسماعيل) وقد وجد حليفًا .. إن له أعداء كثيرين لكننا سوف نكتفى بواحد .. اختر الخطر الذى يواجه (رفعت) فى المغامرة القادمة :

١ ـ مصاصو دماء .

٢ ـ تعويذة قديمة منسية كالعادة .

٣ ـ الموتى الذين ليسوا كذلك .

٤ ـ عراف شرير .

جميل .. لقد اخترت كل شيء .. الآن أين تذهب ؟ أقترح أن تراجع الجداول التالية لتعرف وجهتك ثم اختر نهاية سخيفة أو مملة حسب ذوقك .. لن أمانع فى أن تعود هنا كى تختار شيئًا آخر .. لسنا فى الحياة الواقعية حيث الخيارات بلا رجعة ، ولا تكن من المغرورين الذين يقولون : لو عاد بى الزمن لاخترت الأشياء ذاتها .. (لاحظ أننى لست متعصبًا أو متصلب الرأى على الإطلاق) :

الحليف	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيفة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملة : اتجه للفصل رقم
ماجى ماكيلوب	مصاصو دماء	1	21	36
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	5	23	26
	الموتى الذين ليسوا كذلك	9	15	34
	عراف شرير	4	20	32

الحليف	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيفة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملة : اتجه للفصل رقم
عزت	مصاصو دماء	2	17	29
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	8	18	30
	الموتى الذين ليسوا كذلك	7	24	31
	عراف شرير	6	16	28

الحليف	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيفة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملة : اتجه للفصل رقم
هن ـ تشو ـ كن	مصاصو دماء	3	13	33
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	12	22	27
	الموتى الذين ليسوا كذلك	11	14	35
	عراف شرير	10	19	25

ـ ١ ـ

صديقتى

قالت (ماجى) فى خطابها لى :

الأعز رفعت :

أفتقدك كثيرًا فى الآونة الأخيرة .. وإننى لأتساءل عما تفعله الآن .. لا أعتقد أنك مستمر فى مطاردة الأشباح والمومياوات ؛ لأن الحياة تتغير ونحن نتغير .. أعتقد أنك قد توقفت إن لم يكن بفعل الملل فبفعل السن ..

لا أعرف لماذا أكتب هذا الخطاب بالذات ، فأنا لا أعتقد أننى أملك شفافية خاصة أو أرى تلك الأمور التى تراها طيلة الوقت ، لكننى بالفعل أريد معرفة رأيك ..

أنت تعرف أننى أعيش وحدى هنا فى قصر أبى فى (انفرنسشاير) .. (جراهام) الخادم العجوز الذى لا يخرج أبدًا يوفر لى كل ما أطلبه .. هناك إيقاع الحياة المعتاد من عملى فى الجامعة ومن الوحدة ومن أشباح القصر المعتادة .. قصر أسكتلندى بدون أشباح هو خبز بلا دقيق ، وكما قلت لك أحسب هذه الأشباح تتقاضى راتبها من الحكومة الأسكتلندية مقابل تنشيط السياحة .. هناك أكثر من عشرين سير (ماكيلوب) يتحركون فى الممرات ليلاً ..

هذا شىء معتاد ولا يثير دهشتى ..

هناك صداقات محدودة لى كما تعلم ، وهى من طراز الصداقات الأرستقراطية التى تشعرك بعدم الراحة .. ومن ضمن هذه الصداقات عارضة الأزياء (إليصابات مكديمروت) ، وهناك شاعر يتدلى شعره على كتفيه ويعتقد أنه يحبنى ، وهناك (إيوان فريزر) الصياد الذى ينجح دومًا فى إثارة غيرتك ..

القصة تتعلق بـ (إليصابات) .. فى البداية يجب أن أصفها لك جيدًا .. بما أنها عارضة أزياء فهى رشيقة فارعة الطول .. حتى أنا أبدو بدينة قصيرة حينما أكون جوارها .. لها وجه راق متعال بعض الشىء .. شعر أحمر وعينان غامضتان عميقتان .. إنها من الطبقات الراقية وهى من الطراز الذى يقضى الشتاء فى (سان موريتز) وتزور (باريس) مرتين فى العام على الأقل .. أعتقد أن ثمن قرطها يساوى راتبى لمدة خمسة أعوام ..

لكن هناك نقطة نفسية معينة ، هى أن أسرتنا عريقة فعلاً وذات اسم مرموق فى مجال العلم ، حتى إن لم نكن أثرياء لهذا الحد .. لهذا تصر (إليصابات) على أن تبقينى فى دائرتها ؛ لأن هذا يعطيها شعورًا بالاكتمال .. إنها ثرية جميلة ولها صديقة عريقة الأصل من أسرة محترمة علميًا .. أنت تفهم هذه الألعاب النفسية ..

(إليصابات) شبه مخطوبة لطبيب يدعى (أندرو أروسميث) .. وهو من نفس الطبقة على كل حال ، وقد كان تلميذًا لأبى مثلك لكنه أصغر سنًا منك وبالطبع أكثر وسامة ..

هل فهمت القصة ؟ أعتقد بما أعرفه عن ذكائك أنك استنتجت الباقى وأنك وصلت إلى استنتاجك الخاص .. ماذا ؟ لم تصل بعد ؟ هذا يخيب أملى فيك ..

حسن .. سأكون أوضح .. منذ فترة بدأت (أليصابات) تشحب بشكل مستمر .. أصابها داء لا يعرف الأطباء سببه ولا منشأه .. أنيميا غريبة شديدة الوطء .. إنهم متأكدون من أنها تفقد دمًا لكن كيف ؟ يسهل التأكد من أنها لا تنزف من القناة الهضمية أو رئتيها أو أسنانها أو أنفها أو رحمها ..

كان (أندرو) هو أول من لاحظ هذا .. لا تنس أنه طبيب .. قال إن نسبة الهيموجلوبين فى دمها خمسة جرامات وإن هذا رقم خطير ، وقد طلب أن ننقل لها بعض الدم فى المستشفى ..

الغريب فى الموضوع هو أن (إليصابات) لا تبدو قلقة على الإطلاق .. إنها سعيدة نشطة ، وتقول إن هذا الشحوب يعطيها (لمسة فكتورية محببة) ..

إلى هنا لا يتجاوز الأمر مجرد معضلة طبية لا تعنينى فى شىء ..

لكن (أندرو) فحصها بعناية أكثر ، وقد جاء لى ذات ليلة مهمومًا ليصارحنى بمخاوفه العميقة .

ظل صامتًا بضع دقائق ، ثم غطى وجهه وراح يفكر .. فى النهاية قال :

- « لا أعرف كيف أفسر هذا .. لكن هناك ثقبين فى جذر عنق (إليصابات) .. »

قلت له فى برود :

ـ « وما فى ذلك ؟ ماذا تلمح إليه ؟ »

قال فى حيرة :

ـ « المشهد المعتاد فى قصص مصاصى الدماء .. الفتاة تشحب بلا سبب ثم يجد الطبيب أن هناك ثقبين فى جذور العنق .. ثم يتضح أن مصاص الدماء يزورها كل ليلة .»

بدا لى هذا سخيفًا بحق .. لابد أنه يمزح .. ثقوب العنق هذه لا قيمة لها إلا عندما تكون القصة من قصص مصاصى الدماء ، وعندها يتضح أن الأحمق الذى يسخر من الموضوع قد ارتكب خطأ عمره ، أما هنا فنحن فى عالم الواقع حيث لا داعى لهذه اللمسات القوطية ..

قال لى بنوع من الرجاء :

ـ « سأطلب منك خدمة وأرجو ألا تخذلينى .. »

ـ « هذا يتوقف على نوع الخدمة .. »

ـ « أنت تعرفين أن (إليصابات) تعيش وحدها .. تنام وحدها فى ذلك البيت شبه المقفر .. أنا بحاجة إلى من يكون قريبًا منها ويراقب الأحداث عن كثب .. أريد أن أعرف ما يحدث لها ليلاً ، لهذا لمحت لها إلى أنك قد ترحبين باستضافتها فى قصرك ! »

أحنقنى هذا .. لم أمقت فى حياتى قدر هذه القرارات التى أتخذها دون علمى .. فقلت :

ـ « لابد أنك تمزح ! »

ـ « لو فكرت فى الأمر مليًا لوجدت أننى لا أمزح .. وأن هذا هو الحل الوحيد . »

كانت فكرته هى أن أختار لها غرفة .. لا لن أقيم معها فيها ولن نملأ الباب بالثوم ونرش العتبات بالماء المقدس .. كل ما طلبه هو دائرة مراقبة تلفزيونية يسهل على أن أضعها بصفتى مختصة فى الفيزياء(*) .. هذه الدائرة تسمح لى برؤية الغرفة ليلاً والحكم على الأمور ..

أعتقد أنك توشك على الانفجار ضحكًا .. لكن قل لى بربك ما يجب أن أفعله .. لقد وضعنى فى صورة الفتاة المدللة التى توشك على التخلى عن صديق ..

تعليقاتك ضرورية وحيوية ..

بإخلاص :

ماجى

★ ★ ★

رددت على هذا الخطاب بخطاب آخر أحذف منه عبارات الشوق والهيام والغزل بعد إذنك وأذكر الفقرة الموضوعية التى تهم الجميع :

(ماجى) العزيزة :

(.. هيام .. شوق .. عيناك .. النجوم . إلخ) ... فى الواقع لست

(*) فى زمن القصة كان هذا طموحًا علميًا زائدًا ..

مستعدًا للسخرية من هذا الذى تحكين .. فأنا من طراز أولئك الذين تقابلينهم فى قصص الرعب ويصدقون كل شىء (ويتضح أنهم على حق) ..

لكنى على كل حال لست مستعدًا لأن أقبل أى شىء ببساطة .. إن القصص كثيرة عن حالات فقر الدم والندوب التى تحير الأطباء ، ثم يتضح أن المريض نفسه هو من أحدثها فى نفسه على سبيل اللذة الماسوشية أو التنكيل بالذات وتكتم ذلك .. عرفت مريضة كانت تستنزف الدم من وريد خفى فى جسمها لتصاب بفقر الدم الذى أثار جنون الأطباء ..

أعتقد أن موضوع مراقبتها هذا مفيد حقًّا .. رأيى أن تقبلى هذا العرض وترحبى به .. من ناحية هى ستمنحك بعض التسلية ، ومن ناحية أخرى أعتقد أنها ستقدم لك هبة العلم التى لا تقدر بثمن ..

اقبلى العرض وأبلغينى بما يستجد ..

رفعت إسماعيل

★ ★ ★

الأعز رفعت :

لم يطل الأمر على كل حال .. قمت بترتيب كل شىء وقد جاءت (إليصابات) للإقامة معى ، وهى تعتبر الأمر كله دعابة .. لكنى لم أخبرها بشىء .. قلت إن خطيبها اقترح أن تكون فى رفقتى بضعة أيام . وبالطبع لا يعرف سواى أن هناك كاميرا صغيرة فى حجرتها مخفية وراء زخرفة الروكوكو الثقيلة المحيطة بإطار النافذة .. هذه الكاميرا تبث صورة إلى جهاز تلفزيون صغير فى مكتبى ، مع إمكانية التسجيل طبعًا .. حافظت على إضاءة خافتة فى الغرفة تسمح برؤية ما يحدث ..

هكذا بعد ما قالت لى (عمت مساء) ، قضيت عدة ساعات مملة فى غرفة مكتبى أرشف الشيكولاته الساخنة وأتأمل الشاشة ، حتى شعرت بأن عينى زائغتان وأننى يمكن أن أرى الإسكندر الأكبر نفسه على الشاشة .. أعتقد أننى سأنام ..

حدث الشىء فى الرابعة صباحًا ..

رأيت بوضوح تام باب الشرفة الذى كان موصدًا ينفتح .. ثم رأيت ذلك الظل يدخل الغرفة .. هكذا زال النعاس من عينى ووثبت فى مقعدى ..

فى البداية اعتقدت أننى أحلم ، لكنى رأيته بالفعل يدنو من الفراش ويقف جواره ..

كان مبهمًا فعلاً فلم أدر كيف يبدو ، لكن يمكن أن أقول لك بضمير مستريح أنه لم يكن يتدثر بعباءة سوداء مبطنة بالأحمر .. لم يكن يبدو كمصاصى دماء (هامر) إياهم ..

سأعترف لك أننى فقدت حكمتى ..

كان من المفترض أن أراقب المشهد حتى نهايته .. أو إذا تجردنا من البرود العلمى أوقظ (جراهام) رئيس الخدم الوفى ..

لكنى لم أفعل .. كنت أريد أن أكون هناك والآن ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢١
لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٦

ـ ٢ ـ

طبيعى أكثر من اللازم

أعترف أن (عزت) مثّال جيد .. كنت أعرف هذا بوضوح عندما كانت تماثيله قريبة من الطبيعة أو تحاكيها ، لكنى لم أحب هذا النوع من الفن على كل حال .. إذا كان سيصنع نسخة من الطبيعة فلماذا لا تكتفى بصنع قالب من الجص لموضوع التمثال ؟ نفس السبب الذى جعل المدرسة الكلاسيكية فى الرسم تضمحل مع اختراع الكاميرا .. هنا ظهر التأثيريون والوحشيون والسرياليون ؛ لأن غرض الاحتفاظ بصورة دقيقة للشخص لم يعد مطلوبًا من الرسام .. صار عليه أن يطور رؤيته للعالم ، وإلا فإن أية كاميرا رخيصة تؤدى العمل أفضل منه بمراحل ..

أقول إن تماثيل (عزت) الأولى كانت تدل على براعته ، لكنها لم تمثل فنًا بالنسبة لى .. أما تماثيله الأخيرة الأقرب إلى الحداثة فتذكرنى بالباذنجان الذى يتظاهر بأنه فاصوليا .. ربما السحلية المصابة بسرطان القولون ..

باختصار لم أحب أى عمل لـ (عزت) برغم أننى لم أكف عن اعتباره موهوبًا ..

هذا رأيى ومن المستحيل أن تتهمنى بالتجنى أو الافتراء ؛ لأننى أقوله بتجرد ولأن (عزت) لن يعرف أبدًا أنه رأيى ..

الحقيقة أننا نبالغ فى الصراحة فى الأمور غير المهمة .. ننافق رؤساءنا وأصدقاءنا ونكذب طيلة الوقت ، فإذا تعلق الأمر برأى فى عمل فنى تحولنا إلى الصراحة تمشى على قدمين .. وصرنا لا نخشى فى الحق لومة لائم .. هكذا تصير أسعد لحظات حياتنا هى اللحظة التى نصارح فيها الفنان أن عمله رديء ، ثم نعود لبيوتنا لننام شاعرين بأننا أدينا ما علينا تجاه البشرية .. إن ثقافة المجاملة مهمة ولا بأس بها من وقت لآخر ..

★ ★ ★

هكذا عندما دعانى (عزت) لشقته كى نشرب الشاى بالصراصير ويعرض على تحفته الجديدة ، استعددت بصرخة الانبهار قبل أن أرى أى شىء .. فقط كنت أتساءل: هل يجب أن أفقد وعيى من فرط الإعجاب أم أن هذا مبالغ فيه ؟

لكن بصراحة .. لم يكن ما رأيته ردينًا على الإطلاق ..

عندما كشف الملاءة رأيت تمثالاً عملاقًا معقدًا .. كان فى مرحلة الصلصال بعد ، وأعتقد أنه سينقله إلى حيث يصب قالبًا له ..

التمثال يمثل اثنين من مصاصى دماء وفتاة يقفون فى أوضاع تشريحية ممتازة .. الفتاة بثياب فكتورية وتصرخ فى رعب بطريقة فكتورية كذلك ويبدو أنها أدركت الحقيقة فجأة .. بينما ينقض عليها مصاص دماء من الأمام فاتحًا فمه كاشفًا عن نابين مخيفين ، وقد التف بالعباءة .. أظهر (عزت) براعة خاصة فى تجاعيد القماش

ولا أنكر هذا .. هناك مصاص دماء يقف وراء الفتاة وقد فتح ذراعيه منتظرًا تراجعها للخلف .. وعلى وجهه تعبير يمكن أن ألخصه بمصطلح سوقى بعض الشىء هو (تعالى لى يا بطة) ..

الحقيقة أن المشهد هزنى .. ثمة تلك المخاوف الغامضة المتوارية فى وجداننا الجمعى منذ الطفولة .. ماذا سيحدث بعد هذا ؟ لا توجد لدى الفتاة أية فرصة للفرار من أى نوع .. يسهل أن تتخيل نفسك فى هذا الموقف ..

قلت لـ (عزت) فى ارتباك :

- « رائع .. مذهل .. »

تورد وجهه وهذا نادر .. لكنى أضفت :

- « لكنه ما أغربه من موضوع لتمثال ! لن تجد من يفهم تمثالاً كهذا .. لو انشغل الفنانون بصنع تماثيل لمصاصى الدماء فلن تجد منهم عددًا كافيا لصنع تماثيل العمال مفتولى العضلات الذين يحملون المفتاح الإنجليزى ويقفون جوار فلاحة »

قال فى خجل :

- « هذا من وحى قصصك التى لا تنتهى .. خطر لى أن هذا المشهد من الرعب القوطى سيروق لك .. إنه موضوع غير معتاد على كل حال .. »

- « غير معتاد على الإطلاق .. »

على كل حال تناولنا الشاى ، ثم سألته عن خططه .. قال لى إن هناك معرضًا وشيكًا سيقام فى الإسكندرية وهو ينوى عرض هذا التمثال فيه ..

قلت محذرًا :

ـ « لن تفوز بأى شىء .. أولاً لابد من أن تعرض واحدة من تلك السحالى المصابة بسرطان البروستاتا .. لن يمنحك أحد جائزة من أجل تمثال لمصاصى دماء .. ثانيًا لابد من أن يسبق اسمك حرفا (أ . د) .. لو أخذت برأيى لغيرت اسمك فى السجل المدنى إلى (أ . د . عزت) .. »

قال فى تفاؤل :

ـ « أنا لا أمارس الفن كى أحصد الجوائز .. أنت تحتاج إلى وقت أطول من اللازم كى تدرك أننى فنان حقيقى .. »

ـ « هذا التفاؤل يسعدنى »

عدت لشقتى . وكان الوقت قد تأخر لذا بدأت أستعد للنوم ، عندما سمعت دقات هستيرية على الباب فاتجهت لأفتحه بحذر .

كان هذا هو (عزت) ممتقع الوجه مذعورًا .. وبمجرد أن رأى وجهى صاح :

ـ « لقد تحرك التمثال ! »

حككت رأسى فى ملل وقلت :

ـ « هل تذكر قصة ذلك التمثال المخيف (ميسيا) ؟ أنت تكرر نفسك بشكل غير مسبوق .. سأحتاج لوقت أطول من اللازم حتى أقابل تمثالاً من تماثيلك لا يتحرك »

قال فى لهفة :

ـ « لكنه تحرك فعلاً ! أرجو أن تتبعنى ! »

ذهبت معه إلى شقته .. ودخلنا .. خيل لى أننى سمعت باب الشقة ينغلق ونحن فى طريقنا إلى الستوديو ، لكنى فسرت ذلك بالريح ..

على قاعدة التمثال وجدت منظرًا غريبًا .. الفتاة واقفة كما هى تصرخ ذعرًا .. لكن مصاص الدماء الذى يقف أمامها غير موجود .. هذا جعل المشهد غريبًا كأنها تصرخ من شىء لا تراه هو مصاص الدماء الثانى الواقف وراءها ..

قلت لـ (عزت) :

ـ « هل أنت متأكد من أنك لم تجنّ وتنتزع التمثال ؟ »

ـ « لا .. على قدر ما أعرف .. »

هكذا رحنا نفتش الشقة بحثًا عن التمثال المختفى .. لا أثر له فعلاً .. لكنى قدرت أن فى الأمر لعبة نفسية ما .. على الأرجح هو لم يحب التمثال لذا انتزعه ودمره دون أن يعرف ذلك .. هذه الأشياء تحدث .. من السهل أن تحيل تمثالاً من الصلصال إلى عجينة من الصلصال .. أما الدعامات فيسهل تفكيكها ..

قلت له وأنا أحاول أن أبدو عقلانيًا :

ـ « أعتقد أن هناك تفسيرًا منطقيًا .. التماثيل لا تتحرك تلقائيًا لأن قوانين نيوتن تقول ذلك .. أعتقد أنك ارتكبت غلطة ما .. فى الصباح سنفهم أكثر .. »

ثم قدمت عرضى الكريم :

- « هل تريد أن تنام عندى ؟ »

قال فى ضيق :

- « لا أعتقد .. لقد صار هذا السيناريو مملاً .. سوف أنام هنا لكنى أؤكد عدم الفهم .. »

هكذا ودعته واتجهت إلى شقتى التى تركت بابها مفتوحًا فأغلقته ودخلت فراشى .. لن ينتهى هذا السيرك أبدًا .. الحقيقة أنه كان على (عزت) أن يجد بيتًا آخر . إننا نكون ثنائيًا مريعًا ..

بدأت أغوص فى بركة النعاس الشهية .. أغوص فى الفراش ..

لماذا استيقظت من نومى ؟

لا أعرف .. لكنها تلك العين الثالثة التى تظل مفتوحة ونحن نيام ..

عندما فتحت عينى رأيت الردهة بإضاءتها الخافتة خارج الغرفة .. استغرقت بعض الوقت كى أصدق ما أراه ..

لقد كان التمثال هناك .. وكان يتحرك .. يتحرك فى بطء شديد لكنها حركة لا شك فيها ..

ملتفًا بعباءته التى يلف جزءًا منها على ساعده كما كان يفعل (بيلا لوجوزى) فى الفيلم الأخير الذى لم يمثله .. كان يتحرك .. كأنه يبحث عن شىء .

إنه كفيف ! خطر لى هذا وبدا مضحكًا ، لكنه التفسير الوحيد لهذه الخطوات .

لقد كان يتحرك فى شقة (عزت) .. وعندما دخلنا خرج من الباب ليدخل بابى أنا .. هذا هو تفسير الصوت الذى سمعته ..

الآن هو يقف على باب الغرفة .. يتحسس الباب بحركات متصلبة ، إنه يدخل !

انزلقت إلى الناحية الأخرى من الفراش عالمًا أن قلبى يعيش آخر لحظاته المجيدة . لو فقدت الوعى لانتهى أمرى .. كيف ينتهى ؟ لا أعرف .. لكن آخر لحظة يحسن فيها أن تفقد وعيك هى عندما تواجه تمثال مصاص دماء يتحرك !

عندما شعرت بأنه دخل الغرفة فعلاً وأنه يقترب من الفراش زحفت على يدى وركبتى متجهًا نحو الباب .. لم أنظر إلى الوراء لكنى قدرت أنه بطىء وأنه سيستغرق وقتًا للحاق بى .. لن أثق فى هذا كثيرًا على كل حال لأن الزومبى فى الأفلام شديدو البطء لكنهم يقبضون على البطل فى النهاية ..

الآن أنا عند باب الشقة ..

عالجت القفل .. تبًا ! هل هذا حصن (بابليون) ؟ مفتاح وقفل .. سوف أستغرق شهرًا حتى أفتح هذا الشىء ..

فى النهاية انفتح فقبضت على سلسلة المفاتيح ، واستطعت الخروج إلى الليل البارد ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٧

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٩

ـ ٣ ـ

شيانج شى

قبل أن يأتى (هن تشو كان) إلى زمننا جرب ذات مرة أن يفارق الدير ويجوب البلاد ..

هأنتذا حافى القدمين بضفيرتك المتدلية على ظهرك ، وذلك الكيس الذى تحمل فيه بقايا الخبز التى يتبرع بها الناس وأنت تجوب ربوع التبت .. إن التسول طقس مهم فى البوذية ولدى النافاراى ..

الثلج ينهمر وأنت تهبط من التل لترى تلك المجموعة من الأكواخ .. تبحث عن مأوى برغم أنك قادر على إقناع جسدك أن الطقس حار .. لكن لا أحد فى الأكواخ التى تدق بابها .. برغمك تشتهى بعض الحساء والشاى بالزبد ..

إن للجسد عليك حقوقًا .. وهو لا يتنازل برغم كل شىء ..

لا أحد فى القرية كما يبدو لذا تغادرها ، وتدخل الغابة القريبة ..

الليل آت عما قريب ، ولسوف تحتاج إلى كل ما كسبته من ثقافة (النافاراى) كى تستطيع تحمل هذه الليلة وسط الجليد ..

تمشى وسط الغابة بين الأشجار التى تدثرت باللون الأبيض .. وتتذكر الأخ (ميانج) :

ـ « الصقيع هو ما تراه أنت .. والشمس هى ما تراه أنت .. »

فلتشعر بالشمس .. بالدفء .. بمذاق الشاى بالزبد وحساء البصل الساخن ..

هناك مجموعة من الأشجار تمر جوارها .. يبدو أن هناك منحدرًا وراء هذه الأشجار ..

تقترب أكثر فترى مشهدًا يجمد الدم فى عروقك .. قدمان بشريتان !

هناك مسكين تجمد خلف هذه الشجرة لا شك فى هذا ..

تهرع إلى هناك فترى ذلك البائس .. كان مكسوًا بالجليد فعلاً .. ليست طبقة سميكة لكن هذا كاف مع الطقس المريع كى يقتل إنسانًا ..

ما هذا الشىء المحيط به ؟ إنه أرز ! أرز لزج نصف مطبوخ يتناثر فى دائرة حوله .. لقد اختلط بالثلج لكن لا شك فى طبيعته ..

إنه ينظر لك .. ما زال حيًا إذن .. تزيل الجليد عن ملامحه ..

هناك هالات سود كثيفة حول عينيه .. ربما كان هذا بسبب الجوع أو البرد .. عيناه تتابعانك بلا توقف لكنه لا يتكلم .. شاحب جدًا .. لك أن تتوقع هذا ..

ـ « لا تخف .. الزهرة الزرقاء سوف تنقذك .. »

لكنك ترى شيئًا غريبًا على جبهته ..

هناك وريقات صفر تتناثر على جبهته .. وريقات عليها نوع من الكتابة الدقيقة باللون الأحمر .. أم بالدم ؟

ما معنى هذا ؟ يبدو الأمر كأنه طقس .. لكن أى طقس ؟

هكذا تمد يدك وتنزع هذه الأوراق .. ثم تمد يدك لتعينه على النهوض .. المشكلة الآن أن تجد له مأوى ..

★ ★ ★

فجأة وثب هذا الرجل فى الهواء ..

وثبته كانت رشيقة أشبه بوثبة القط ولابد أنه دار ثلاثة أرباع دائرة حول نفسه ..

فجأة رأيته يقف أمامك ..

لقد ارتكبت خطأ شنيعًا عندما ساعدت هذا الكائن .. أنت ترى الآن أنه ليس كائنًا حيًا بل هو مسخ .. مسخ له أنياب طويلة تتدلى من فمه وهو يزمجر كوحوش الغاب ..

يتقدم نحوك .. إنه لا يمشى لكنه (يحجل) على ساق واحدة .. طريقة غير جميلة لكنها مجدية لأنه يقطع مسافات لا بأس بها ..

فى اللحظة الأخيرة وثب عليك فوثبت أنت فى الفضاء ودرت نصف دورة لتسقط خلفه .. عاد يحجل نحوك بتلك الطريقة وهو يصوب نحوك مخالبه لكنك وثبت من جديد . لو ظن هذا الأحمق أنه قادر على الظفر بكاهن تافاراى أخف من الذبابة فهو مخطئ ..

هل تبدأ السارايانا ؟

ربما لم يحن الوقت بعد .. يبدو أنك قادر على تفاديه ..

من جديد هاجمك فتمرغت فوق الجليد بحيث مر من جوارك ..

فجأة رأيته يتجه نحو حاجز الأشجار ويتوارى وراءها .. ماذا يحدث هنا ؟

جريت بخفة لتلحق به ، فوجدته على ركبتيه ينحنى على جسد آخر ممدد على الأرض .. ويبدو أنه ينتزع تلك الأوراق من على جبهته ..

هناك آخرون إذن ! ويبدو أن هذه الأوراق الصفر هى القيد الذى يبقيهم مكبلين ..

نظرت وراء شجرة أخرى فرأيت اثنين آخرين !

لا وقت للفهم .. يجب أن تفر وأن تبحث عمن يعرف معنى هذا .. هؤلاء سوف يوقظون بعضهم ما دمت أنت قد بدأت الخيط ..

يجب أن تفر إلى القرية وتبحث عمن يفهم ..

هكذا رحت تركض بسرعة لا تصدق قاصدًا القرية التى مررت عليها من قبل .. لا يمكن أن يكون الجميع قد هجرها .. لابد من كوخ واحد مسكون ..

فتشت كوخين فثلاثة فلم تجد شيئًا ..

لكنك وجدت شيئًا غريبًا فى الكوخ الثالث ..

كانت هناك جثث متجمدة لأسرة كاملة .. من الصعب معرفة سبب الوفاة ، لكن العلامة المقلقة هى أنه لا توجد جثة إلا وقد انتزع أحد أطرافها ..

أنت الآن خائف ..

حتى كاهن النافاراى يخاف .. لأن ما لا تعرفه مرعب دائمًا ..

فى الكوخ السادس فوجئت بأحياء .. تلك المرأة المذعورة وطفلها والعجوز ذى اللحية الكثة البيضاء .. كانوا يشعلون نارًا .. وهذا هو المهم ..

ما إن دخلت الكوخ حتى طار إناء معدنى فى وجهك ، لكنك انحنيت فى الوقت المناسب ليمر الشىء جوارك ويضرب الجدار ، ثم سمعت العجوز يصيح :

ـ « دعيه يا (فونج لى) .. إنه ليس منهم ! »

هززت رأسك ودخلت الكوخ وأبرزت لسانك لهم كما هى التحية هنا .. من ثم صبت لك المرأة سلطانية من الشاى بالزبد وقدمتها لك .. بلا أية كلمة ..

لما فرغت من الاحتساء رفعت رأسك .. مدت يدها تضع فى يدك سلطانية بها أرز مطبوخ فبدأت تأكله بأناملك .. مذاقه كريه لكنه ساخن على الأقل ..

قال العجوز :

ـ « القرية كلها هلكت .. لقد هاجمها (الشيانج شى) .. لم يبق سوانا .. »

رفعت حاجبيك متسائلاً فقال العجوز :

ـ « هناك روحان فى كل جسد .. الروح الشريرة تدعى (باى) .. لو أن الإنسان مات ميتة عنيفة شنيعة ، أو لم يدفن بالسرعة الكافية ، أو استطاعت الحيوانات أن تعبث بقبره ، فإن الروح الشريرة تسيطر على الجسد ويتحول إلى (شيانج شى) .. لو مر قط على رأس الميت فإنه يتحول إلى (شيانج شى) .. إن الشيانج شى يمتصون دماء الأحياء .. متيبسون فلا يقدرون على المشى لذا يتواثبون وثبًا .. قوتهم لا تصدق لذا يقدرون على انتزاع قدم أو ذراع ضحاياهم ..(*) »

ـ « أنا هاجمنى (شيانج شى) »

ـ « وظللت حيًا ؟ لا أحد يقدر على مواجهتهم إلا كهنة (التاو)(**) .. إنهم يكتبون تعاويذ معينة بدم الدجاج على ورق أصفر يلصقونه بجبهة (الشيانج شى) .. اسمها (فو) ومعناها (الحظ الحسن) بلغة الماندارين .. لو وجدت أحدهم فإياك أن تجرب نزع هذه الأوراق لأنها تجعلهم مشلولين عاجزين عن الحركة .. يقولون إنه لو طاردك (شيانج شى) فعليك أن تكتم نفسك .. عندما لا يشمون رائحة أنفاسك فلن يجدوك .. الثوم يصلح وكذا الأرز اللزج نصف المطبوخ .. »

(*) أسطورة صينية حقيقية .. كل شعب لديه قصص مصاصى الدماء الخاصة به ، وهؤلاء هم مصاصو الدماء الصينيون ..

(*) المجال ليس مناسبًا للكتابة بالتفصيل عن التاوية Taoism لكنها عقيدة صينية مهمة تتبع من يدعى (لاو تزو) ..

ـ « وكيف يموتون ؟ »

ـ «(الشيانج شى) موتى فعلاً أيها الفتى فلا توجد طريقة لقتلهم .. نحن استعنا بكاهن تاوى جاء القرية متأخرًا بعد ما هلك الجميع .. لكنه انطلق إلى الغابة يطارد تلك المخلوقات .. أعتقد أنه فشل ما دمت قابلت بعضهم .. »

تفتح فمك لتفسر لكنك تسمع دقات عنيفة على باب الكوخ .. ويقول العجوز وهو يرتجف :

ـ «.. لقد عادوا !!! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٣
لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٣

ـ ٤ ـ

طالعنا

لم تكن (ماجى) ممن يؤمنون بالعرافين .. وكنت أنا مثلها ..

والسبب ؟ لا تعتمد على منطق معين ، ولكنه ذلك الاتفاق المطلق بيننا فى الطباع .. يكفى أن أعرف عن نفسى أننى أكره كذا أو أحب كذا ، حتى أعرف تلقائيًا إنها تؤمن بذات الأشياء .. تشابه غريب محير حتى إننى كنت أتساءل عما إذا كانت هى نسختى الجينية جاءت من بعد آخر .. يقولون إننا كنا خلية واحدة فى جسد أحد الجدود يومًا ما ..

لكننا فى تلك الليلة كنا شابين مفعمين بالحياة والرغبة فى المرح ، وكنا عائدين من نزهة طويلة فى الملاهى فى مدينتها ..

طبعًا لم تعرفونى بوضوح .. هذا أنا .. أقرب للوسامة والشباب مع كثير من التجاوز وهناك شعر على رأسى برغم كل شىء .. هكذا كنت أبدو فى تلك الأيام من خمسينات القرن العشرين .. أما هى فأنتم تعرفونها .. لم ولن تتغير أبدًا .. إنها الأنثى الخالدة .. إنها الأميرة النائمة أو سندريللا التى لا تشيخ أبدًا .. نقرأ قصصها ونحن أطفال ، ونشيخ فنفتح ذات القصص لنجدها كما هى ..

بعد ما قمنا بهذه الجولة فى الملاهى كنت أشعر بالخجل لأننى لم أجلب لها أية هدية .. فى الأفلام يكون العاشق فارسًا لا يشق له غبار يفوز بكل الألعاب .. وكلما فاز بشىء أهداه لحبيبته .. أما أنا فلم أظفر بشىء على الإطلاق لذا ابتعت لها بعض الفيشار ..

قالت لى هامسة والبخار يتصاعد من فمها :

ـ « إلى الأبد ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « ستظل تحبنى إلى الأبد ؟ »

قلت صادقًا :

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم توقفت لأنى رأيت شيئًا غريبًا ..

كانت تلك الخيمة الغجرية فى طريقنا نحو بوابة الخروج ..

لافتة كبيرة على المدخل تقول (مدام بلافاتسكى) .. هكذا بلا أية تفاصيل أخرى أو وعود ..

قلت لـ (ماجى) ضاحكًا :

ـ « النصب يبدأ من هنا .. مدام (بلافاتسكى) عرافة روسية كبيرة لها مؤلفات وأتباع .. لن تفتح خيمة فى الملاهى أبدًا .. إذن النصب يبدأ من الاسم الذى اتخذته ويدل على نقص فى الخيال .. »

ضحكت وتأبطت ذراعى وملأت فمها بالفيشار من الكوب الكبير الذى أحمله ..

مررنا أمام الخيمة ، وألقينا نظرة على الداخل من وراء ستار موارب .. كانت الخيمة مظلمة لكن تناثرت فيها شموع معلقة على

شمعدانات .. ووقعت عينى على المدام الجالسة بالداخل .. توقعت أن أرى عجوزًا بارزة العظام لها سمت الغربان تربط رأسها بمنديل غجرى مزركش .. لكن عينى وقعت على امرأة بدينة لطيفة لها عينان مليئتان باللطف والحنان مع لمسة مكر محببة كمكر الأطفال ..

كانت جالسة إلى المنضدة الدائمة التى توجد عليها بنورة سحرية .. وهناك كتاب سميك غليظ .. وعلى كتفيها الشال التقليدى الأبدى ..

قالت (ماجى) فى دلال :

ـ « تعال نلق نظرة .. سيكون هذا رائعًا .. »

ـ « لقد تأخرنا على أبيك .. يجب أن نعود .. »

لاحظ أن أباها (أرشيبالد ماكيلوب) لم يكن أباها فقط ، بل كان أستاذى والمشرف على رسالتى .. والقادر على خراب بيتى فى أية لحظة .. لقد توفى الرجل منذ زمن لكن هيبته لم تفارقنى قط ..

قالت ملحة :

ـ « أرجوك دعنا نلق نظرة .. سوف يبدو الأمر شاعريًا .. إنها ستكلمنا عن مستقبلنا معًا .. هذا يبدو جميلاً »

هكذا لم يعد بوسعى أن أقاوم أكثر ..

دخلنا الخيمة فى حذر .. فقابلنا العينين الصافيتين الوداعتين لتلك المرأة .. قالت لنا بصوت يتفق مع وجهها :

ـ « شابان متحابان .. هذا جميل .. وإن كنت أعتقد أنك من الشرق يا سيدى .. قوم عاطفيون هم .. والآن هل ترغبان فى قراءة كف أم الكرة السحرية أم هى أوراق التاروت ؟ »

قالت (ماجى) فى مشاكسة :

ـ « هل يمكن أن نجرب شيئًا من كل شىء ؟ »

عقدت العرافة يديها أمام ذقنها فى شغف وقالت :

ـ « سأقدم لكما خدمة من نوع خاص .. سوف أقرأ لكما التاروت بطريقة خاصة .. طريقة (كراولى) .. »

لم أكن وقتها مهتمًا بهذه الأمور وبالتأكيد لم أكن سمعت اسم اللعين (ألستر كراولى) قط .. (كراولى) أشهر سحرة القرن العشرين ، والذى ربط بينه البعض والشيطان ذاته .. فيما بعد عرفت أن الرجل ابتكر طريقة شيطانية لقراء أوراق التاروت وقد اشتهرت باسمه ..

طلبت منا السيدة أن نقوم بخلط الأوراق ونحن نتأمل فى ذواتنا ثم بدأت توزعها بتلك الطريقة التى عرفتها فيما بعد ..

قالت وهى تتأمل الأوراق :

ـ « متحابان نعم .. صادقان .. »

نظرت لـ (ماجى) وابتسمت .. لسنا بحاجة إلى مدام (بلافاتسكى) لتخبرنا بهذا .. حالة التناغم هذه التى وصفها الشاعر العربى العبقرى : « وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى »

قالت المدام ، وقد بدا القلق على وجهها :

ـ « لكن هذا الحب مهدد بالانتهاء .. لا أريد أن أثير ذعركما لكن الخطر قريب جدًا .. ربما هذه الليلة بالذات .. خذا الحذر .. »

قلت لها فى خبث :

ـ « هل يتعلق الأمر برجل طويل أسود غامض ؟ »

قالت دون أن تبتسم :

ـ « نعم يتعلق برجل . لا .. بل يتعلق بامرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح .. أعتقد أن أحدكما لن يرى النهار ! »

ـ « ألا ترين أنك تفعميننا بالتفاؤل ؟ »

ـ « وهذا يدل على أننى صادقة .. هناك فارق بين العراف الذى يخبرك بما تريد أن تسمعه والعراف الذى يخبرك بما يجب أن تسمعه .. »

قالت (ماجى) بلهجة غير المصدق الذى بدأ الأمر يروق له :

ـ « وبم تنصحيننا إذن ؟ »

ـ « بالحذر ! »

ـ « هذا مفهوم .. لكن أى نوع من الحذر ؟ »

صمتت المرأة وكنت أتوقع هذا .. هذه هى اللحظة التى يصمتن فيها .. وهكذا دفعت لها أجرها الذى لم يكن باهظًا وانصرفنا .. فقط تذكرت أن أسألها :

- « لماذا اخترت اسم (بلافاتسكى) ؟ »

أخرجتْ لفافة تبغ وقالت فى غموض :

- « ربما كنت هى ! »

ومشينا فى الشوارع المظلمة أنا و(ماجى) .. لم نعط أهمية كبرى لهذا الكلام ، لكنه ترك فى حلوقنا شيئًا مريرًا غامضًا .. سمه التشاؤم إذا شئت ..

الآن نمشى فى ذلك الطريق المظلم الذى يمر بمحاذاة الغابة ..

لا أدرى متى ولا كيف سمعنا الصراخ .. صراخ امرأة تركع على ركبتيها إلى جانب الطريق ولا تكف عن العواء ..

دنوت منها لأتبين ما بها ، وهرعت (ماجى) من خلفى .. إنها سيدة فى الأربعين لها وجه طويل ناحل وشعر أسود .. معطفها يوحى بالثراء بلا شك ..

قالت المرأة وهى تغطى وجهها :

- « (دانييل) ! (دانييل) !»

- « من هو ؟ »

- « ابنى الصغير ! لقد شعر بحاجة إلى تلبية الطبيعة ، فدخل الغابة .. وانتظرته هنا .. مرت دقائق طويلة ولم يعد .. إننى حائرة .. بحثت عنه وناديته لكنه لم يظهر .. إنه ضائع فى الغابة ! »

نظرت إلى الغابة المظلمة وشعرت بقشعريرة .. موقف فى منتهى السوء فعلاً ..

احتضنت (ماجى) المرأة وقالت لى بلهجة آمرة :

- « (رفعت) .. سأبقى معها هنا .. حاول أن تجد الصغير .. »

أجده ؟ كيف ؟

ثم عاد ذلك المذاق الكريه الباقى فى حلقى .. أحدكما لن يرى النهار .. فمن ؟

هل من الحكمة أن أتركك مع هذه السيدة التى لم نرها من قبل ؟ وهل من الحكمة أن أصير وحيدًا ؟

لو وصفنا الأمر بدقة لقلنا إننا نتصرف بأبعد ما يمكن عن الحذر ..

> الآن يمكنك الاختيار ..
>
> لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٠
>
> لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٢

- ٥ -

نداء (ساوين)

يرفع السيد (جوردان) رأسه الذى تعلوه العوينات ليتأمل تلك الشابة الرشيقة التى تدخل المكتبة .. لم تكن شابة حسناء بالمعنى الحرفى للكلمة ، بل لها ذلك السحر الغامض الذى لا تعرف مصدره .. لو أمسكت بورقة وقلم وحاولت أن تدون أسباب جمالها لفشلت ، لكنه موجود وساحق ..

كانت شقراء نحيلة فارعة الطول .. ترتدى معطفًا ثمينًا من الجلد ، وساقاها فى حذاء ذى رقبة يزيدها طولاً .. وكانت على وجهها ضحكة قلما تزول ..

قالت له بلهجة أسكتلندية مهذبة :

- « أبحث عن بعض الكتب القديمة .. كتب تتعامل مع الثقافة الدرويدية Druidic .. »

هز رأسه فى فهم .. ثم اتجه إلى الصندوق الذى يضع فيه الكتب القديمة ، وأنزل العوينات على عينه وراح ينقب .. سألها وهو يبحث :

- « هل تدرسين التاريخ ؟ »

- « أنا أدرس الفيزياء بالجامعة ! »

- « هذا اهتمام غريب إذن .. هناك كتاب لا بأس به .. »

وأخرج كتابًا ما إن رأته حتى عرفت أنه هو .. لا شك فى هذا .. مثلما تقابل فتاة أحلامك فجأة فتعرف أنها هى .. كتاب غليظ له غلاف جلدى سميك وعليه نقش بارز لشعار لم تره من قبل .. يمكنك أن تتصور أن هذا الغلاف يحمى أسرارًا بالغة الإمتاع ..

قال لها :

- « هذا الكتاب يتعامل مع كل الأساطير الدرويدية .. إنك سوف .. »

- « شكرًا .. شكرًا .. سآخذه ! »

ودفعت ثمنه ثم طارت محلقة خارجة من المكتبة .. ظل يرمقها حتى توارت بالخارج ثم تنهد .. لم يعد من حقه أن يحلم بقلب فتاة كهذه .. لابد أن هناك حمارًا ما فى مكان ما سوف يفوز بقلب هذا الغزال الرشيق المثقف شديد الرقى ..

★ ★ ★

الحمار كان أنا طبعًا ..

وكنت فى ذلك الوقت فى أسكتلندا غارقًا فى مشاكلى مع الدكتوراه .. أتلقى توبيخ أستاذى العظيم (أرشيبالد ماكيلوب) فى الصباح ، وأحلق فى سموات الحب مع ابنته فى المساء .. الابنة تحبنى والأب يلومنى .. لكنى سعيد .. من المريح أن تعتبر رئيسك (أونكل) فهذا يجعلك تتحمل أى شىء ..

عندما التقينا أنا و(ماجى) فى القصر تلك الليلة جلسنا فى البهو، بينما (جراهام) يقدم لنا العصير ..

قالت لى وهى تضحك تلك الضحكة التى تغمر العالم بالسحر :

- « كل عام وأنت بخير ! »

لهذا يمكنك أن تفهم سبب أننى لا أذكر متى حدث هذا .. صار على كى أتذكر يوم مولدى أن أتفحص البطاقة الشخصية .. كان هذا عيد ميلادى الذى لم يتذكره أحد فى الكون سواها .. ولأسباب ستعرفها حالاً أنا متأكد أننا لم نكن فى الخريف .

مدت يدها لى بالكتاب ..

لم يكن لى أى اهتمام بالأساطير فى ذلك الوقت ، ولم أكن أعتقد فى وجود أى شىء غير مادى لذا بدا لى هذا الذوق غريبًا ..

قالت لى :

- « التسلية .. هذا ما أضمنه لك .. ثق أنه كتاب مسل .. »

فتحت الكتاب ورحت أتصفحه .. معتقدات قبائل الكلت هذه .. ما زلت أخلط بين الكلت والسلت والجرمان والنورديين .. لقد كان شمال إنجلترا فى ذلك الزمن القديم أشبه بمنطقة الترانزيت فى مطار كبير .. كل الجنسيات هنا ومن شبه المستحيل أن تعرف من ينتمى لماذا .. ذلك العجين الذى خبزته نيران الحروب فولدت اللغة الإنجليزية ..

كانت بطانة الغلاف سميكة .. تحسستها بيدى فوجدت شيئًا عجيبًا .. ثمة شىء هناك تحت البطانة ولا شك فيه ..

بأظفارى مددت يدى أنتزع البطانة مستعينًا بطرف ملعقة الشاى ، فصاحت (ماجى) محتجة :

- « توقف ! هذه هديتى ! »

لكنى كنت قد أخرجت الشىء .. إنه قرص من المعدن .. نحاس تغير لونه نقش على شكل زخرفى شديد الإتقان .. وهناك كتابة بخط دقيق جدًا ..

قلت لها :

- « هل ترين ؟ لابد أن هذه تساوى ثروة .. »

أمسكت (ماجى) بالقرص وراحت تدقق ، ثم قالت:

- « لا أستطيع قراءة حرف واحد .. فقط هناك كلمة واضحة هى Samhin .. يجب أن أعرض هذه غدًا على رئيس دائرة التاريخ بالجامعة .. »

- « أرجو أن تفعلى ذلك فأنا متحمس .. »

قلتها طبعًا بالملل الشديد الذى عرفت به ، وأفرغت كوب العصير فى بطنى ثم أوشكت على النهوض .. لكنها ركضت إلى الطابق العلوى وخلال ثانيتين كانت قد عادت حاملة عدسة وقلمًا من الرصاص وورقة .. وفى خفة راحت تمرر طرف القلم مائلاً على الورقة التى ألصقتها بهذا الشىء .. بدأت النقوش تظهر بشكل أوضح على الورقة ..

وضعت العدسة على عينها ، وراحت تقرأ بصوت عال تلك الحروف .. لكنها لم تفهم شيئًا على الإطلاق .. هذه دعابة أو لغة منقرضة ..

فى النهاية راحت تردد :

ـ « (سامهين) ..»

ثم توقفت وقالت وقد تذكرت شيئًا :

ـ « الكلت كانوا ينطقون MH كأنهما حرف الواو .. إذن الاسم يُنطق (ساوين) .. (ساوين) .. هذا الاسم مألوف »

فجأة انقطع التيار الكهربائى !

سمعت (جراهام) يصيح متسائلاً ، ثم ظهر بعد دقيقة حاملاً شمعدانًا وضعه على المنضدة أمامنا وقال بلهجته الراقية التى تلتف حول المعانى حتى توشك على إزهاق روحك :

ـ « أعتقد أن العطل مؤقت يا سيدتى الصغيرة .. شكرًا لله أن سيدى ليس فى القصر هذه الليلة .. »

ـ « شكرًا يا (جراهام) .. هل لك أن تشعل النار فى المدفأة ؟ »

ـ « سيكون هذا من دواعى سرورى يا سيدتى الصغيرة لو سمحت لى بأن أقول هذا .. »

عندما انصرف الرجل قلت لها فى عصبية إننى لا اشعر بأية راحة لهذا الانقطاع المفاجئ .. إن توقيت المصادفات لا يتم بهذه السلاسة ..

قالت باسمة وهى تتصفح الكتاب على ضوء الشمعة :

ـ « سوف أتبين الأمر حالاً .. »

ثم قالت بصوت قلق وهى لا ترفع عينها عن إحدى الصفحات :

ـ « (ساوين) .. (ساوين) .. ها هو ذا .. إله الشمس عند الكلت .. فى الخريف كان الكلت يحتفلون بالليلة التى يستدعى فيها أرواح الموتى ، وكان هؤلاء يبحثون عن أجساد الأحياء ليسكنوا فيها .. فى هذه الليلة بالذات تتلاشى الحواجز بين العالمين ، ويصير الموتى قادرين على اقتحام البيوت ، لهذا كانت القبائل تطفئ كل نار فى البيوت ويغادر الناس بيوتهم ليبيتوا فى الخارج حول نيران الخلاء .. هذا هو عيد (الهالوين) الذى قرر البابا (جريجورى الرابع) عام ٨٣٤ ميلادية احتواءه ليضمه إلى المسيحية .. وبهذا لم يظل عيداً وثنياً .. وصار مناسبة لتذكر القديسين أطلقوا عليه اسم All Hallows even ..أى (الليلة التى تسبق يوم كل القديسين) .. »

ثم رفعت عينها القلقة نحوى وقالت :

ـ « (رفعت) .. إلى أى حد تعتقد أن هذه التعويذة التى نطقت بها تستدعى (ساوين) ؟ ألم تفكر فى ذلك ؟ »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٣

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٦

-٦-

جاليرى

فيما بعد عرفت أن (عزت) قد وجد هذه القاعة الصغيرة فى ذلك المعرض الكبير فى الزمالك ..

كانت أمسية مطيرة وقد خلت الشوارع من المارة ، وكانت أضواء الجاليرى الكبير مضاءة فقرر أن يدخل على سبيل التثقيف الفنى من ناحية ، وعلى سبيل اتقاء المطر من ناحية أخرى ..

كان المكان خاليًا تمامًا .. لا شىء إلا قاعات واسعة علقت على جدرانها اللوحات .. ولم تكن ذات تميز خاص .. لا يدرى إن كان هذا بسبب تعكر مزاجه أم لأنها لوحات غير مميزة فعلاً .. البطة والنهر والفلاحة المصرية وإيزيس .. الفن المعتاد .. لا بأس بلوحة تكعيبية هنا أو هناك وكلها رديئة تحاول تقليد (بيكاسو) فتنجح فى تقليد (عبد الفتاح القصرى) ..

لا صوت إلا خشب الباركيه الذى يحدث صريرًا تحت حذائه ، وصوت الأمطار بالخارج .. الدفء الناعس يغريه بالنوم .. كان فى طفولته لا ينام جيدًا إلا إذا تدثر بالدفء وحلم بالبرد القارس بالخارج ..

كانت هناك فتاة تجلس جوار دفتر عملاق ، وقد وضعت قلمًا مربوطًا بخيط بين دفتيه ، فتناول القلم وكتب بضع كلمات ينافق بها الفنان ..

ثم راح يمشى فى الممرات حتى وجد حديقة أنيقة .. اجتازها وهو يضم ياقته ويدفن رأسه فى درقته كالسلحفاة ..

كانت هناك قاعتان صغيرتان .. إحداهما تحوى بعض الأعمال بالحبر الشينى .. أعمال غير متميزة أقرب إلى القبح .. القاعة الصغيرة الأخرى كانت متوارية وراء بارافان وقد علقت عليها لافتة تقول (الفنان عفت الشرشابى) ..

مد يده المتجمدة إلى المقبض وجرب فتح الباب فانفتح ..

غريب هذا !

تتعامل إدارة الجاليرى مع هذا المعرض فى سرية تامة كأنه عار .. لابد أنهم يحملون ألعن المشاعر لهذا الفنان بالذات .. لا أحد يغلق باب المعرض ببارافان إلا لو كان يمقت الفنان .

الغريب أن اللوحات كانت قطعة من الفن الرفيع ..

* * *

كان الأسلوب فريدًا من نوعه . هناك مزج أستاذى للألوان مع لمحة واضحة من المدرسة التأثيرية .. وكانت اللوحات صغيرة متماثلة الحجم .. تقترب أبعاد اللوحة الواحدة مع الجريدة اليومية لو طويتها نصفين .. فى الحقيقة لم يكن ما فى اللوحات من فن هو المهم ، بل هو ما لم تقله هذه اللوحات .. ثمة قصيدة تسمعها فتبهرك لأنك تشعر بأن لدى الشاعر الكثير جدًا مما لم تقله القصيدة .. كان

هذا شأن اللوحات ، فهى لم تحو كل الروعة التى تثيرها فيك .. لو أنك وزنت ما فى اللوحة من فن بالجرام لوجدت أنه قليل .. بينما اللوحة نفسها تزن أطنانًا ..

الحقيقة أن (عزت) لم يشعر بشىء مماثل من قبل إلا أمام لوحة (الصرخة) لـ (مونش) .. مجرد لوحة بسيطة جدًا ويسهل أن تقلدها لكنها تحوى أضعاف ما يبدو على سطحها ..

وقف يشاهد هذه الروعة ولم يشعر بأن هناك من يقف وراءه منذ دقائق ..

فقط شعر به عندما شم رائحة التبغ (والتدخين كان ممنوعًا فى هذا الجاليرى) ..

نظر إلى الوراء فى ذهول فوجد رجلاً نحيلاً فارع الطول له شارب رفيع وعينان عميقتان مخيفتان .. عينان تشغلان نصف الوجه تقريبًا بحيث تنسى إن كان للرجل أنف أم لا ..

كان الرجل يضع لفافة تبغ بين شفتيه ويتأمل ذات اللوحة فى نهم ثم نظر إلى (عزت) وقال :

ـ « أعجبتك ؟ »

ـ « أنا مذهول .. »

قال الرجل :

ـ « إذن سوف تكتب لى كلمتين فى دفترى .. أنت رجل ذوّاقة وتستحق مكافأة صغيرة .. »

سأله (عزت) مرتبكًا :

ـ « إذن أنت .. أنت .. »

ـ « (عفت الشرشابى) .. نعم .. لنقل إن هذا اسمى . مؤقتًا ! »

ـ « هل درست الفن ؟ »

ـ « درسته فى كل مكان تقريبًا .. »

هل قال الرجل: (لنقل إن هذا اسمى . مؤقتًا !) ؟ ما معنى هذا ؟ غريب جدًا ..

اتجه (عزت) ليكتب كلمتى مديح فى الدفتر ، فقال له الرجل وهو يهم بمغادرة المكان :

ـ « أنصحك أن تتأمل اللوحات جيدًا .. إنها مفيدة لك فعلاً .. »

ثم غادر المكان .. شعر (عزت) بغرابة هذا كله .. هناك قدر لا بأس به من الغرور لدى هؤلاء الفنانين ، لكن لا بأس .. طيلة اليوم يقابل أشخاصًا تافهين خالين من أى شىء سوى الغرور .. فليقبل الغرور مرة من شخص موهوب ..

انتهى من كتابة التعليق ، ثم عاد يتأمل اللوحات ..

كانت اللوحة الأولى تمثل شابًا نحيلاً أسمر يمشى تحت الأمطار وهو يدارى رأسه فى سترته كدرقة السلحفاة .. اللوحة الثانية تظهر ذات الرجل النحيل يقف وسط لوحات معلقة على جدار ويكلم رجلاً نحيلاً أسمر ذا شارب وعينين عميقتين ..

هناك لوحة تمثل ذات الرجل النحيل (رقم ١) وهو يدون كلمات فى دفتر ..

تتابع اللوحات .. هناك لوحة تظهر الرجل ينزلق وسط الأوحال بينما كشافات سيارة قادمة من بعيد .. فى لوحة أخرى يرى الرجل النحيل يقف مع امرأة حسناء تحت الأمطار .. فى لوحة أخرى يرى ذات الرجل النحيل وهو يصرخ هلعًا بينما أمامه وحش مريع .. هذا الوحش يتحرر من وجه ممزق لفتاة جالسة كأنه كان يتوارى خلف قناع وجهها ..

هناك لوحة تظهر النحيل يجرى خائفًا .. ثمة لوحة تظهره على الأرض جثة ممزقة والكلاب تلتهمها .. هناك لوحات ناقصة .. أى أن مكانها موجود لكن يبدو كأنها بيعت أو رفعت .

ما معنى هذا ؟ يبدو أقرب إلى فن الشرائط المصورة (ستريبس) .. لماذا يحب الفنان هذا الموديل النحيل الأسمر القبيح ؟ (رينولدز) لم يرسم تقريبًا سوى طفلة حسناء واحدة فى كل لوحاته .. لكن هناك فارقًا بين الموديلين ..

وفجأة فطن (عزت) للحقيقة ..

هذه اللوحات تظهره هو نفسه .! أول ثلاث لوحات قد مرت به فعلاً خلال ربع ساعة !

★ ★ ★

حينما غادر الجاليرى كان متوترًا بحق ..

تمنى لو قابل ذلك الفنان ليشرح له كل شىء لكنه لم يره ..

حينما خرج إلى الشارع لم يكن المطر قد انقطع ، فرفع سترته إلى أعلى عنقه وهم بالعبور .. فقط لتنزلق قدمه فى بركة ماء على جانب الطريق ..

وجد نفسه ينزلق .. وفى ذات اللحظة رأى كشافات سيارة مسرعة قادمة نحوه ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٦

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٨

-٧-

إنه يتحـرك !

كل تجارب (عزت) تستحق الذكر .. إن هذا الذئـب المتوحـد غريب الأطوار لا يقابل أبدًا شيئًا معتادًا أو مملاً ..

بدأ كل شىء فى تلك الليلة السوداء التى دق فيها بابى فى عنف ، ففتحت وأنا أجفف ذقنى التى كنت أحلقها .. رأيته شاحبًا أكثر من المعتاد يرتجف هلعًا وقد راح يذرع مدخل شقتى فى دوائر متصلة كذئب حبيس ..

- « لعله خير ؟ »

قال وهو يرتجف :

- « يجب أن تأتى معى حالاً .. هات أدوات الفحص ولنذهب .. »

فهمت أن الأمر يتعلق بمريض .. لكن من ؟ هل لـ (عزت) أصدقاء ؟ سيكون هذا شيئًا فريدًا من نوعه .. هكذا استقللنا سيارتى وانطلقنا فى شوارع القاهرة الغافية .. كان العنوان الذى يقصده فى حى المهندسين ، وفى الطريق القصير قال لى :

- « تعرف أننى لم أعد أحترم أحدًا .. لكن هذا الرجل من آخر الرجال المحترمين .. الجيل الذى انقرض أو كاد ، وهو يعتبرنى ابنًا له .. لن أتحمل أن يحدث له شىء .. »

قلت له فى لطف كى ينسى مخاوفه :

- « كلنا سنموت يومًا ما .. »

فاستبد به الغضب وضرب (تابلوه) السيارة بقبضته صائحًا :

- « يا أخى .. فأل الله ولا فألك .. »

كأن هذا كاف كى لا يموت الرجل .. هكذا آثرت الصمت ..

كانت بناية أنيقة فاخرة تلك التى دخلناها فى هذه الساعة المتأخرة ، ولم يكن هناك بواب .. ركبنا المصعد إلى الطابق الخامس ، ثم اتجه (عزت) إلى شقة وسط غابة من نباتات الظل فعالج قفلها بالمفتاح .. هكذا فهمت أن أباه الروحى هذا يثق به فعلاً ..

نحن الآن فى شقة واسعة يبدو أن فنان ديكور موهوبًا اعتنى بها .. لكنى كدت أجن عندما فهمت فعلاً مدى عبقرية هذا الفنان .. لقد كانت مقسمة إلى قطاعات .. قطاع منها عبارة عن أدغال بأشجارها ، وديكور لينبوع ماء يتدفق ودمى قردة ووحوش متناثرة .. قطاع عبارة عن خيمة عربية بطنافس و(دلة) ومباخر وتماثيل لراقصات شرقيات وعازف عود .. قطاع عبارة عن عالم فضائى كامل بجدران سود تتناثر فيها مصابيح كأنها النجوم وأرضية تذكرك بسطح القمر .. لم أر الباقى لكن أفقدنى ما رأيته صوابى .. ما كل هذا الثراء ؟ الثراء الذى يسمح لك بتحقيق حلم طفولى غال كهذا .. امتلاك (ديزنى لاند) فى شقتك .. فى هذا المكان لن تشعر بالملل أبدًا .. سوف تمضى ثلاثة أيام فى عالم الفضاء وثلاثة أيام فى جو البازار الشرقى وثلاثة أيام وسط مخاطر الأدغال .. الخ ..

قلت همسًا لـ (عزت) :

ـ « صاحبك هذا سيكون أحمق لو مات ! من يترك هذه الروعة أحمق .. »

قال وهو يتقدم وسط الأحراش:

ـ « إن (أنيس الفخرانى) رجل ذو خيال .. وهو لا يتوقف عند حد فى سبيل تحقيق ما يحلم به .. هذه نعمة عدم الزواج .. أنت تجد معك مالاً .. ثم إنه قد صمم أكثر هذا بنفسه .. »

غريب هذا ! لم يلحظ أننا لم نتزوج ومع ذلك نحن مفلسان كالأميبا ..

فقط كان هناك جدار يختلف عن الآخرين .. كله قبح وقذارة .. وقد ألصقت صحف قديمة على بقايا صمغ .. وكان هناك مرحاض حقيقى عليه صراصير ميتة (أعتقد أنها محنطة) .. مرحاض فى الصالة ؟

أخيرًا وسط الأحراش نجد تلك الخيمة التى يغمرها ضوء أزرق كضوء القمر .. ننحنى لندخل فنرى ذلك الفراش الذى يرقد عليه شيخ فى السبعين كث الحاجبين محتقن الوجه له لحية من الطراز الذى يحبه الفنانون .. كان ضامرًا جدًا حتى إننى قدرت وزنه بأربعين كيلوجرامًا .. لو لم يكن مصابًا بسرطان فأنا أجهل من دابة ..

قال (عزت) كلامًا كثيرًا على غرار (هذا هو رفعت .. إنه بارع .. سوف يتمكن من .. الخ) .. فهز الرجل رأسه فى وقار وقال :

ـ « لا أعتقد أن كل أطباء الكرة الأرضية قادرون على عمل شىء .. لكن دع صديقك يجرب ! »

كانت لكنته أقرب إلى الأجنبية ، وقدرت أنه من الفنانين الذين قضوا أكثر حياتهم بالخارج حتى نسى العربية أو كاد ..

فجأة تذكرت أنى لم أعرف فى أى شىء هو فنان .. هل النحت أم الديكور ؟ قررت أن أسأل (عزت) فيما بعد وفحصت الرجل . كانت القصة واضحة وهو لم يخف أية تفاصيل .. سرطان البروستاتا الذى أرسل هداياه القاتلة إلى كل جزء من عظامه حتى لم يعد قادرًا على المشى ..

ـ « يجب أن تكون فى المستشفى الآن . »

ـ « أنا قادم من هناك منذ ساعات ! »

بالطبع ليس فى جعبتى ما أقدمه سوى بعض المسكنات .. هنا يغلق الطبيب حقيبته ويترك الأمر للمعالج الكيماوى أو الحانوتى .

قال وهو ينهى الأمر فى نفاد صبر :

ـ « الأمر بسيط .. أريد بعض الحقن المسكنة التى تجعل النهاية غير أليمة .. »

هكذا مددت يدى فى الحقيبة فانتقيت أمبول (مورفين) وحقنته بجزء منه ، ثم قلت لـ (عزت) :

ـ « يمكن استكمال الحقن كلما عاد الألم .. هذه مهمة تحتاج إلى تمريض »

ـ « أنا سأفعل .. »

وكان من الواضح انه سيقضى بقية حياته مع الرجل حتى يموت أحدهما .. لذا قدمت له بعض التعليمات وأضفت :

ـ « لا أريد انفعالات .. أنت مؤهل بشدة لتسبقه إلى القبر مع مرضك العضال هذا ..»

وطلبت السماح لى بالانصراف ، فراح الرجل يعبث تحت الوسادة بحثًا عن شىء عرفته ، فقلت وأنا أتجه للباب :

ـ « لن أتقاضى أجرًا .. أنت صديق (عزت) »

وعلى الباب ودعت (عزت) ثم سألته عن نوع الفن الذى يمارسه هذا الرجل ، فنظر لى مبهوتًا ثم أشار إلى الجدار العملاق الذى تناثرت عليه الصحف ووضع المرحاض فى أسفله ، وقال :

ـ « هذا هو ! إنه أستاذ فى الأعمال الفنية المركبة ! »

ـ « تعنى الأعمال الصحية المركبة على ما أعتقد ؟ »

لن يحترم ما أقول أبدًا وسوف يتهمنى بالجهل .. لكن لو كان وضع مرحاض كامل عليه صراصير فى الصالة عملاً فنيًا ، فالفن عمل قذر وغير أخلاقى بالمرة .. هذا رأيى مهما قالوا لى ..

★ ★ ★

فى الرابعة صباحًا توفى (أنيس) .. عرفت هذا لأن (عزت)

اتصل بى وأخبرنى بهذا ..

قال إن المتوفى راح فى غيبوبة منذ ساعة ثم شهق .. وتوقف نبضه وتنفسه ..

ـ « هل أنت متأكد مما تقول ؟ »

ـ « لقد رأيت الموت من قبل يا (رفعت) .. »

ـ « هل ترى أن آتى لك ؟ »

ـ « ليس فى الرابعة صباحًا .. ثم إن قدومك لا جدوى منه .. »

كان متماسكًا وإن التقطت أذنى تلك النغمة المشروخة المتحشرجة تحت طبقة الهدوء .. لديه رصيد لا بأس به من الألم لكنه يؤجله .. أعرف أن (عزت) هو الإخلاص يمشى على قدمين ، ولسوف يبرهن للفنان المتوفى على أنه ابنه الروحى فعلاً ..

هكذا وضعت السماعة شاعرًا بالأسى .. كان ذلك الرجل يتكلم معى منذ ساعات وكاد يدفع لى أجرًا .. أعددت لنفسى بعض الشاى لأن يومى فى ذروته كما تعرفون وجلست أطالع الصحف ..

فجأة دق الهاتف من جديد ..

كان هذا (عزت) كما توقعت ..

ـ « (رفعت) .. إنه يتحرك .. »

قلت باسمًا :

ـ « توقعت هذا .. صدقنى إن تشخيص الوفاة صعب .. صعب جداً وإننى لمندهش لكون الناس يمارسونه بهذه البساطة .. »

قال فى إصرار :

ـ « بل هو ميت يا (رفعت) ! »

ـ « قلت إنه يتحرك .. »

ـ « نعم يتحرك .. وأنا أعرف أن هذا مستحيل لكنها الحقيقة .. لقد غادرت الغرفة ونمت قليلاً وسط قطاع الخيال الشرقى .. عندما فتحت عينى وجدته جالسًا على الطنافس .. لم يكن حيًا بل كان ميتًا .. فقط هو فى وضع يوحى بالجلوس .. أصابنى الذعر وتركته حيث هو واتجهت إلى قطاع رعاة البقر .. أنت لم تره .. هناك صالون وديكور حانة وتماثيل خيول .. تمددت على فراش هناك وحاولت أن أغمض عينى لكن هذا مستحيل .. ثم خيل لى أن هناك من يوجد معى فى ذات الحجرة .. رفعت رأسى فوجدته راقدًا هناك على السياج الخشبى الذى يربط رعاة البقر خيولهم له .. (رفعت) ! أنا موشك على الجنون ..»

قلت له فى كياسة :

ـ « لا أرى تفسيرًا سوى أنها حالة موت مزيف .. هناك ألف قصة لـ (إدجار آلان بو) لها هذا المحور . لكن لا أعرف لماذا لا تغادر الشقة ؟ »

قال بصوت كالنحيب :

ـ « لا أعرف كيف أعود لدارى فى ساعة كهذه .. هل يمكنك أن .. هل تسمح لى أن أقترح ؟ هل يمكن أن ... .؟ »

قلت وأنا أضع السماعة :

« ليكن .. فهمت .. تريد أحمق معك فى هذه الساعة .. لقد أحسنت الاختيار ! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٤

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣١

ـ ٨ ـ

أعرف ما تقولون

عندما توفى (أنيس الفخرانى) الفنان العائد من الخارج ، الذى يعتبره (عزت) أباه الروحى ، كان على (عزت) أن يمضى عدة أيام يصنف تلك الأشياء فى بيت الرجل بالتعاون مع ابنه الوحيد (مصطفى) .. لم يكن (مصطفى) مهتمًا بالفن ، ولم يتأثر لحظة لوفاة أبيه الذى لم يره منذ أعوام برغم أنه كان على بعد نصف ساعة من داره تقريبًا ..

كل ما كان (مصطفى) يريده هو البحث عن العقارات وحسابات المصارف التى لدى أبيه .. كان الفقيد ثريًا بدون شك والدليل على هذا ديكور شقته الغريب المبهر .. هذه الأشياء تكلف مالاً .. لكنه كان عاجزًا من دون (عزت) لأن هذا الفتى الأسمر السقيم يعرف كل شىء هنا ..

كان (عزت) يتوقف أمام سكتش صغير أو صورة فوتوغرافية للوحة ، ويهتف :

ـ « تأمل هذه الروعة ! »

فكان(مصطفى) يقول بلا اكتراث :

ـ « جميل .. جميل .. »

ثم يطوح السكتش أو الصورة جانبًا ويواصل البحث متذمرًا :

ـ « هذا ليس بيتًا .. إنه سيرك .. أدغال ونجوم و .. و ... لو عرفت بهذا لرفعت عليه قضية حجر .. »

كان (عزت) ينظر للرجل فى ذهول .. كان يقرأ عن العقوق لكنه لم يعاينه بهذا الوضوح وهذه الفجاجة من قبل .. لولا التعقيدات القانونية لتكفل هو بكل شىء .. إن وجود هذا الوغد هنا يضفى على الموضوع ابتذالاً وعدم احترام .. يتمنى أحيانًا أن يهشم أنفه ، لكنه يعرف أنه ليس من حقه أى شىء ومن السهل أن يطرده (مصطفى) متى أراد ..

قال (عزت) لـ (مصطفى) فى شبه توسل :

ـ « هل أحتفظ بتلك اللوحات على الأقل ؟ »

قال الرجل فى ملل :

ـ « خذ هذه القمامة بأية كمية تريد .. لا أريد شيئًا من هذا هنا .. سوف أجلب عمالاً هذا الأسبوع لينظفوا كل هذه الأشجار والصخور .. ستصير الشقة جاهزة للبيع .. »

كان الآن قد وضع عويناته وراح يفحص مجموعة من الأوراق والعقود ..

اتجه (عزت) إلى خزانة كبيرة من الطراز الذى تحفظ فيه اللوحات العملاقة وراح يبحث عن ميراثه الخاص .. هنا وجد جسمًا مستطيلاً ملفوفًا بعناية فى ورق براق من الذى تحفظ فيه الهدايا ..

بدأ يمزق الورق متوقعًا أن يجد آيات قرآنية أو (تـابلوه) .. لكنـه فوجئ بلوح من الفخار تناثرت عليه علامات رأسية وأفقية كلها تستعمل وحدة واحدة هى تقريبًا حرف T اللاتينى ..

هذه كتابة مسمارية .. لا شك فى هذا .. الكتابة التى كانت مستعملة فى بلاد ما بين النهرين ، والتى فك رموزها الألمانى (جروتنفند Grotenfend) ، والتى سبقت الأبجديات المعروفة بـ ١٥٠٠ سنة . اللغة التى ابتكرها السومريون ثم تبناها الأشوريون والبابليون .

ما معنى هذا ؟ ولماذا يحتفظ الفقيد بهذا اللوح ؟

★ ★ ★

عندما عاد (عزت) إلى شقته شعر بدهشة بالغة عندما فتح اللوح وأعاد تأمل الكتابة .. من المستحيل أن تزعم أنه يجيد الكتابة المسمارية ، لكن الكلمات صارت واضحة فجأة :

ـ « من يمتلك اللوح لا يمتلك بالضرورة المعرفة . إنك إن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة (أوتنابشتيم) لأنك المختار كى يمتلكها ..»

ما معنى هذا الكلام ؟

المخيف هو تلك الموهبة التى حطت عليه فجأة .. لقد قضى (جروتنفند) حياته كلها محاولاً فهم نص واحد ، والآن أنت تقرأ هذه العبارة الصعبة بلا مشاكل ..

هذا سحر لا شك فيه ..

معنى هذا أنك تعرف .. لكن تعرف ماذا ؟

« هلمى .. إن هذا الخبز طازج »

« لا أعتقد هذا .. مذاقه كريه .. لكن الجائع لا يدقق »

سمع هذه الكلمات من مكان ما فشعر بالحيرة .. هل هناك شخص معه فى الشقة ؟ كلا .. الصوت قادم من وراء الباب .. فتح الباب فلم ير أحدًا .. فقط قطتين تعبثان بقمامة الجيران .. يبدو أن (رفعت) خارج البيت ..

عاد إلى الداخل فعاد الصوت يتردد :

ـ « لماذا لم تفرى ؟ »

ـ « لم أقو على ذلك .. كنت جائعة ثم إنه يبدو مسالمًا .. »

خرج إلى الشرفة حائرًا يبحث عن مصدر هذه الأصوات .. لكنه لم يسمعها .. فقط سمع صوتًا غليظًا متحشرجًا يقول :

ـ « أنت سريع جدًا .. لا تنس أننى من لحم ودم »

نظر إلى الشارع الذى غمره الظلام فلم ير أحدًا باستثناء شاب على دراجة يركض خلفه كلب صغير من نوع (اللولو) .. من أين جاء الصوت ؟

« هلم ادخل .. إن قبضتى تتخلى عن الجدار»

هذا الصوت العجيب الخفيض .. ما مصدره ؟

نظر للسقف فلم ير شيئًا سوى ذلك البورص الصغير الملتصق به .. كان يمقت تلك الزواحف الكريهة لذا عاد للداخل وأغلق الباب ..

فجأة بدأت الفكرة تتضح ببطء .. تتجمع كما تتجمع السحب فى السماء .. غريبة مفزعة لكنه بدأ يستوعبها ببطء ..

لقد صرت قادرًا على سماع خواطر الحيوانات !

« إنك إن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة (أوتنابشتيم) لأنك المختار كى يمتلكها ..»

هل (أوتنابشتيم) هذا كان يقدر على سماع خواطر الحيوانات ؟ لا يعرف .. لكنه يعرف يقينًا أنه فى ربع الساعة الأخير امتلك موهبة مخيفة بحق ..

إنه المختار .. إذن ليس بوسع كل من رأى هذا اللوح أن يفهم ما كتب عليه .. فقط من يفهم يملك القدرة .. ترى هل كان (أنيس) قادرًا على قراءة هذه الكلمات ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٨

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٠

-٩-

إيرين قد عادت

كانت سيارة (ماجى) الصغيرة تنتظرنا عند مغادرة المقبرة .. عرضت على أن أقود فرفضت .. لم أستطع قط أن أبتلع وضع المقود إلى اليمين تلك العادة البريطانية البذيئة ..

قالت لى بلهجة لا عاطفة فيها :

- « لقد ماتت (إيرين) .. »

ثم انفجرت فى البكاء فجأة وبلا سابق إنذار .. . وضعت رأسها على كتفى وراحت تبكى .. كنت أحب (ماجى) ولا أعرف شيئًا عن (إيرين) ؛ لذا بكيت ..

★ ★ ★

(إيرين) عجوز بريطانية طيبة من الطراز الذى يصفه أديبنا (محمد عفيفى) بـ (عجائز لندن اللعينات) .. إنها ذلك النمط الذى يحب الأزهار ولديه قط ، ويضع بول - أوفر على كتفيه ويشتغل التريكو طيلة اليوم .. الطراز الذى يصنع فطائر الخوخ ويتكلم عن الطقس للأبد ..

لم تكن تعيش فى لندن ولكن فى إنفرنسشاير .. وكانت (ماجى) تزورها كثيرًا حيث تجلسان فى الشمس تحتسيان الشيكولاته الساخنة ..

(ماجى) تحب العجائز الطيبات خاصة حينما يبلغن السن التى تصير فيها الرحلة للعالم الآخر مجرد نزهة قصيرة ..

فى يوم من الأيام أصيبت (إيرين) بارتفاع حاد فى ضغط الدم .. يبدو أنها كانت مصابة بتكيس شريانى فى المخ سرعان ما انفجر وحملوها إلى المستشفى حيث ماتت ..

كانت جنازة مهيبة حزينة فى يوم من أيام الصيف التى تحبها ..

أزهار كثيرة وضعت فوق القبر .. وموعظة باللكنة الأسكتلندية لم أفهم شيئًا منها .. (ماجى) بكت كثيرًا جدًا .. .

كنت أحب (ماجى) ولا أعرف شيئًا عن (إيرين) ؛ لذا بكيت ..

★ ★ ★

أنهيت أعوام دراستى وعدت إلى مصر لتبدأ حياتى الصاخبة التى تعرفونها جيدًا .. أشباح وألغاز ومومياوات .. وببطء بدأت أدرك أن العالم مزدحم فعلاً بأشياء لا نعرفها .. أنت لست وحدك على الإطلاق .. علامات استفهام فى كل ركن ، لكنك سوف ترحل تاركًا ذات العلامات لأحفادك ..

ظلت قصة الحب المستعرة بينى و(ماجى) .. أحيانًا كنت أسافر لها كما حدث عندما رأيت وحش (لوخ نس) ، وأحيانًا تأتى هى لى كما حدث مع ذلك السفاح الذى كان يطاردها ..

وفى كل مرة تسألنى :

- « إلى الأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستظل تحبنى إلى الأبد ؟ »

أقول فى صدق :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم أتوقف لأن شيئًا لابد أن يحدث ..

هكذا دارت عجلة السنين حتى تلقيت هذا الخطاب الغريب من (ماجى) بعد حوالى خمسة عشر عامًا من وفاة (إيرين) :

الأعز (رفعت) :

ثمة أشياء غريبة تحدث هنا .. هل تذكر (إيرين) ؟ صديقتى العجوز التى بكيت كثيرًا عندما دفنتها ؟ حسن .. لقد عادت !

قبل أن تظن بعقلى الظنون دعنى أحكى لك أننى أعيش وحيدة كما تعرف بعد وفاة أبى .. فى تلك الليلة جاء (جراهام) الوفى ليخبرنى أن سيدة مسنة تنتظرنى ..

- « من هى ؟ »

- « لم تقل .. قالت إنك تنتظرينها »

أنا أمقت هذه الزيارات التى تتم من دون موعد مسبق .. لكنى على كل حال فرغت من أوراقى ونزلت إلى البهو لألقى تلك الزائرة .. فوجئت بأنها

(إيرين) بشحمها ولحمها .. كانت تضحك .. والغريب أنها كانت في ذات حالتها قبل الرحيل .. خمسة عشر عامًا لم تترك عليها أى أثر ..

أجفلت وتراجعت وكدت أصرخ ، لكنها بدأت تتكلم .. تتكلم بصيغة عادية تمامًا كأنها لم ترحل قط .. تتكلم عن الطقس وعن فطائر الخوخ والقطط الصغيرة ..

أخت لها .. هذا مؤكد ..

سألتها عن اسمها فقالت فى دهشة :

ـ « هل نسيت (إيرين) يا (ماجى) ؟ (إيرين ماكفرسن) صديقتك العجوز ..»

ـ « (إيرين) ماتت »

هنا سالت دمعة على خدها وأخرجت منديلها المزركش بالدانتيلا وقالت :

ـ « (ماجى) .. . كيف صرت بهذه القسوة ؟ »

كان قد فاض بى .. لا وقت عندى لهذه الدعابات العملية .. لذا صحت منادية (جراهام) :

ـ « تأكد من أن السيدة قد غادرت البيت ولن تعود له ثانية .. »

نظرت لى نظرة طويلة .. أقسم أن هذه المرأة تسخر منى فى سرها .. لا أعرف من دبر لى هذا المقلب لكنه مخطئ لو ظن أننى سأصاب بذعر ..

ورأيتها تتجه للباب مع (جراهام) .. فعدت غاضبة إلى مكتبى وعملى ..

فى اليوم التالى تذكرت (إيرين) العزيزة .. شعرت بحنين لها فقررت أن أزور قبرها وأضع باقة أزهار هناك .. . لم أفعل هذا منذ عشرة أعوام ..

ترجلت ومشيت وسط هذا الطقس الجميل الذى كانت تحبه .. هناك من حاول أن يعبث بعواطفى الثمينة .. بمقدسات ذكرياتى .. لكنه سيدفع الثمن ..

لم يكن القبر هناك .. بالواقع لا شىء على الإطلاق ..

كانت هناك حفرة قبيحة المنظر وشاهد القبر مقلوب ، بينما هناك كومة من الغبار والأزهار الذابلة جواره .. من فعل هذا ؟ من جرؤ ؟

جاء حارس المقبرة العجوز ، ورأى ذهولى فنزع قبعته وقال بوقار :

ـ « نباشو قبور يا سيدتى .. حدث هذا منذ ثلاثة أيام .. هناك مجموعة من الشباب غريبى الأطوار يترددون على المقبرة من حين لآخر .. لقد أبلغت الشرطة بأمرهم .. أعتقد أنهم من فعل ذلك .. إن عبدة الشيطان هؤلاء يحتاجون إلى جثث بشرية طيلة الوقت .. . دعك من طلبة الطب . »

سألته وصدرى يعلو ويهبط :

ـ « هل رأيتهم يفعلون ذلك ؟ »

ـ « لا .. لكن ما معنى قبر تم نبشه وسرقة الجثة منه ؟ الموتى لا يفعلون ذلك ..»

ثم سألنى فى حذر وهو يتفحص الشاهد المقلوب :

ـ « (إيرين ماكفرسن) .. هل هى أمك ؟ »

ـ « شىء كهذا .. »

قلتها وأنا أتجه إلى السيارة ..

ما رأيك فى هذا كله ؟ أعرف أنه يبدو غير مترابط لكنه حقيقى ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٥
لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٤

ـ ١٠ ـ

اللاما العظيم

فى قرية (تو جيجى) بالتبت تم اللقاء الأول بين الكاهن الأخير و(جيدون شوكى نيما) .. إنه فيما يقولون التناسخ العاشر للاما (بانشن رينبوش) العظيم ..

برغم أن (النافاراى) لا يؤمنون بالتناسخ ، فقد كانوا يحترمون عقائد الآخرين ..

وقد دخل (هن ـ تشو ـ كان) الدير على ركبتيه حتى صار أمام اللاما فمرغ جبينه فى الثرى .. عندما رفع رأسه وجد أن (شوكى نيما) يجلس القرفصاء لكنه على ارتفاع متر عن الأرض .. شىء كهذا يطير صواب الفلاحين ، لكن (هن ـ تشو ـ كان) قام بنفسه بأشياء مماثلة مرارًا ، ويعرف أنه لا معجزات هنا إلا معجزة التركيز الذى يصل إلى درجة ذوبان الذرات فى الذرات .. (النافاراى) يصنعون مثل هذا وأكثر ..

قال اللاما العظيم :

ـ « أنت (نافاراى) .. عرفت هذا من ثيابك .. »

يقول الكاهن الأخير وهو يطرق برأسه :

ـ « يطلقون علىّ الزهرة الزرقاء أيها اللاما العظيم .. »

ـ « وأنت لا تؤمن بنا . لا تؤمن بى .. »

ـ « تعلمت أن أحترم معتقدات الآخرين أيها اللاما العظيم .. »

ارتفع اللاما إلى أعلى أكثر وأغمض عينيه وبدأ يتكلم بصوت خفيض :

ـ « عندما تحلق النسور الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجلات .. سوف يتفرق أهل التبت فى الأرض وتصير الدارما dharma فى أرض الرجال الحمر .. »

ثم ارتفع إصبعه ليشير إلى (هن ـ تشو ـ كان) :

ـ « النافاراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقى حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من (لهاسا) .. »

ثم بدأ يهبط إلى الأرض .. وفتح عينيه ..

كان (هن ـ تشو ـ كان) يعرف التقاليد .. لا يمكنه الاستفسار عن أى شىء لأن هذه غيبوبة .. اللاما نفسه لا يعرف ما قاله ..

كانت النبوءة خطرة ؛ لأن الدارما هى قوة الكون ذاتها ومن العسير تصور أن تسلب من التبت ..

لكن (هن ـ تشو ـ كان) قدر أنها هذيان على الأرجح ..

لم يصرح بهذا بل خفض رأسه وتراجع إلى الخلف دون أن يعطى اللاما ظهره ..

فى دير النافاراى قابله الأخ (مياتج) فسأله :

ـ « هل ذهبت إلى (تو جيجى) أيتها الزهرة الزرقاء ؟ »

هز (هن ـ تشو ـ كان) رأسه وابتسم ساخرًا ..

هنا بدا الغضب على وجه(مياتج) وقال فى حدة :

ـ « لا تسخر منهم .. إنهم يعلمون الكثير .. أرسلتك كى تسمع منهم وتفقد كبرياء النفس .. أسوأ أنواع الكبرياء أن تعتقد أنك تحتكر الحقيقة وأن من عداك لا يملك منها شيئًا .. طلبت منك أن تقدم له الاحترام وأن تمرغ رأسك فى الغبار أمامه .. »

ـ « وقد فعلت أيها الأخ (مياتج) .. لكن لم أتجاوز هذا .. معنى أن أصدق نبوءته أن أصير منهم .. معنى أننى نافاراى هو أننى أراهم على خطأ .. »

أشار له الأخ (مياتج) غاضبًا باتجاه القرية وقال آمرًا :

ـ « الآن تعود .. الآن تمرغ رأسك أمامه وتصغى له .. »

ـ « لكنى أرهقت من طول الرحلة .. »

ـ « الآن تعود .. »

هكذا وجد الفتى نفسه عائدًا لذات القرية .. الأخ (مياتج) لا يكرر الأمر مرتين ..

* * *

وتمر الأيام ويحدث ذلك الانتقال الغريب للفتى عبر الزمان والمكان ليجد نفسه فى قريتى (كفر بدر) .. تلك القصة التى حكيتها لكم من زمن وأحسبكم تذكرونها ..

طبعًا نسى كل شىء عن هذه النبوءة ..

تحولات كثيرة مرت به كما تعرفون ..

إنه اليوم شاب وسيم عصرى يضع عوينات سودًا ويلبس بذلة أنيقة ، وقد نجح فى العمل مع الصينيين الذين يمقتهم ، لكنهم أداته الوحيدة للعودة إلى التبت .. لقد عاد إلى هناك حيث يمضى أغلب الوقت لكنه يعود لمصر كثيرًا جدًا ولابد أن ألقاه فى كل مرة ..

كما قلنا كان يترجم لغات التبتيين ويتفاوض مع الرهبان .. كان سعيدًا لأن هذا وسطه الطبيعى ..

ذات يوم جاء مجموعة رهبان من دير (تاشيلونبو) .. إنهم بوذيون كما تعرف ..

بعد طقوس التحية واحتساء الشاى بالزبد نظر له كبيرهم نظرة طويلة مدققة وقال :

ـ « نحن نطلب وساطة للاتصال ببكين .. إننا نجرى طقوس تنصيب اللاما الجديد ..»

هز رأسه فى احترام فقال الراهب :

ـ « لقد تم التناسخ الخمسون للاما (بانشن رينبوش) العظيم .. هناك طفل ولد فى (لهاسا) يحمل العلامات .. ونحن نطلب السماح لنا بالذهاب وفدًا إلى هناك .. يجب أن نقيم الصلوات أربعين يومًا مع الاستعانة بـ (كيرونج جوو) و(ثانجكا) حامية التبت .»

ـ « لكم هذا .. »

لا يمكن أن يقيم الرهبان مثل هذا الاحتفال من دون تصريح أمنى خاص من (بكين) .. لهذا يطلبون نوعًا من الوساطة .. وبالطبع كان خير وسيط لهم هو الكاهن الأخير ..

★ ★ ★

عاد (هن تشو كان) إلى مصر حيث اتصل بى واتفقنا على اللقاء ..

لسبب ما تذكر نبوءة ذلك اللاما الذى قابله منذ مئات السنين فى قرية (تو جيجى) ..

« عندما تحلق النسور الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجلات .. سوف يتفرق أهل التبت فى الأرض وتصير الدارما dharma فى أرض الرجال الحمر ..»

من الغريب ان النبوءة تحققت إلى حد ما .. الطائرات الصينية (النسور الحديدية) تحلق فى سماء التبت .. خيول على عجلات .. الدارما انتقلت إلى أرض الهند .. تفرق التبتيون ..

هنا ارتجف إذ تذكر باقى النبوءة :

« النافاراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقى حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من (لهاسا) .. »

لقد عاد تناسخ اللاما فى (لهاسا) فعلاً ..

من هو رجل البحر الأسمر ؟ ومن هذا الذى استضافه ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٩

لو كنت تريد نهاية مملـة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٥

- ١١ -

تمارين ليلية

يختلف من كتبوا عن التبت فى معنى لفظة Chod ..

المعنى الحرفى للكلمة هو التقطيع .. لكن المعنى قد يكون مجازيًا بمعنى (قطع المفاهيم الخاطئة عن ذاتك) .. وقد يكون حرفيا يتم عبر أشنع طقس وصفته كتب الأنثروبولوجى ..

فى قرية (تاشينج دانجاما) التبتية قابل (هن ـ تشو ـ كان) الراهب البوذى (فاجيريانا) .. كان هذا ضمن عملية (الكعب الدائر) التى كلفه بها الأخ (ميانج) كى يتعلم أن يهين ذاته وأن يعرف أنه لا يحتكر الحقائق .. إن (فاجيريانا) كذلك (نجاجسبا) مهم .. (نجاجسبا ngagspa) هو شىء قريب من لفظة مشعوذ عندنا ..

كان هناك فن خاص يجيده هؤلاء هو فن صنع شبح .. أن تصنع صورة لنفسك يمكن أن يتعامل الناس معها .. هذه ظاهرة كتب عنها أوروبيون كثيرون .. . لم يستطع (هن ـ تشو ـ كان) تعلم هذا الفن على كل حال .

إن التبت بلد غامض غريب .. يصعب أن تلم بأسراره مرة واحدة ، والسبب الرئيس هو أنه محاط بجبال الهيملايا المرعبة ..

الأوروبيون الذين زاروا هذا البلد عاد كل منهم يحكى عن شىء غريب أو مروع ..

قال (فاجيريانا) لـ (هن ـ تشو ـ كان) الذى جاء يتعلم أساليبه :

ـ « الليلة صافية وأنا راغب فى أداء بعض (الشود Chod) و(الرولانج Rolang) .. فهل تأتى معى ؟ »

وافقه الكاهن الأخير الذى كان يسمع هاتين الكلمتين لكنه لا يعرف عنهما شيئًا ..

★ ★ ★

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراى »

★ ★ ★

عندما جاء الليل خرج الراهب من القرية مع (هن ـ تشو ـ كان) بعد ما تناولا العشاء والشاى بالزبد .. لم يعرف الكاهن الأخير إلا متأخرًا جدًّا أنهما ذاهبان إلى المقابر ..

قال له الراهب :

ـ « هل أنت خائف ؟ »

قال الكاهن الأخير :

ـ « لا .. ولماذا أخاف ؟ »

قال الراهب البوذى :

ـ « يجب أن تخاف .. فقط الجهلة لا يعرفون الخوف عندما تدعو الضرورة له .. »

الظلام دامس بحق .. لكنك ترفع رأسك للسماء فترى النجوم كما لم ترها من قبل ، قبل أن يتكاثف فوقها غبار الحضارة وصدأ الزمن ..

يمشى الراهب بقدميه الحافيتين بين المقابر ، ثم يتوقف ..

يجلس على الأرض وينظر للسماء ، ثم يرقد على ظهره ويصيح فى الفتى :

ـ « مهما رأيت لا تخف .. ! لا تتدخل ! إن التشود هو مأدبة .. مأدبة تقيمها أنت للشياطين على جسدك ! »

يسمع (هن ـ تشو ـ كان) الزئير .. العواء .. الزمجرة .. الخوار .. ثم يرى ..

يرى تلك الكائنات المريعة التى لا شكل لها تخرج من وراء المقابر .. إنها تتقدم .. تلتف حول الراهب .. تنقض عليه ويبدو أنها تفترسه ..

المشهد شنيع لا يصدق ..

يوشك على الصراخ أو الفرار ..

لكنه يتذكر كلمات الرجل فيظل واقفًا .. الآن لم يعد يرى الراهب من كثرة ما التف حوله من شياطين ومسوخ ..

لا يذكر كم مضى من وقت قبل أن تنفض هذه الكائنات المفزعة ..

وحينما رحلت أخيرًا نهض الراهب ووقف على قدميه ، وقال للكاهن الأخير :

- « هذه هى التشود .. إن هذه المسوخ إذ مزقتنى مزقت كل ما هو زائف فى وعيى .. »

هتف (هن - تشو - كان) فى ذهول :

- « هل تفعل هذا كثيرًا ؟ »

- « فقط كلما شعرت أن الزيف يتسلل لى .. إن التشود نوع من التضحية بغرض التطهر .. وفى العادة أفعل هذا مرتين كل شهر .. »

ثم قال وهو ينظر للسماء :

- « الآن حان وقت (الرولانج) .. »

- « وما هو ؟ »

- « إنه الطقس الذى يعنى حرفيًا : إيقاف الموتى على أقدامهم ! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٤

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٥

- ١٢ -

تصير حقائق

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراى »

★ ★ ★

لفترة لا بأس بها عمل (هن - تشو - كان) مع الصينيين فى التبت .. كان يمقتهم ولم يستطع أن يستريح لهم قط ؛ فهم بالنسبة له أولئك الذين انتهكوا قدس الأقداس عندما غزوا التبت عام ١٩٥٩ .. كانوا ملحدين يعتبرون كل الأديان خرافة ، لكنهم كانوا يعاملون البوذية بشكل أكثر وقاحة .. وكانوا يقسمون أهل التبت إلى (اشتراكيين) و(متدينين) .. الفريق الأخير لم يكن يمثل لهم إلا مجموعة من الحمقى صلع الرءوس ذوى ميول رجعية ، وقد امتلأت رءوسهم بالخزعبلات ..

لم يكن (هن - تشو - كان) بوذيًا .. كان آخر مخلوق على وجه الأرض يعتنق عقيدة (النافاراى) ، وهى عقيدة لم تزعم قط أنها دين .. إنها مجرد فلسفة تحاول فهم الكون .. لكنه كان يشعر بأن البوذية ابنة عم لعقيدته ، وأية إهانة لها إنما تصيب صلب ما يؤمن به .. تصيب الكاهن الأكبر ، والأخ (ميانج) وكتاب (الشوكارا) ..

كما قلت كان يكره الصينيين لكنه يتعاون معهم لأنهم يمنحونه فرصة التواجد فى وطنه .. أن يدخل الأديرة العتيقة التى لم يدخلها منذ

مئات الأعوام .. أن يرى المخطوطات التى أوشكت على أن تبلى ..

باختصار لم يكن هناك سبيل للوصول إلى كل هذا العالم إلا من خلال قمع كريه اسمه الصينيون ..

وكان يتخيل ما سوف يقوله الصينيون أو يفعلونه لو عرفوا أن هذا الشاب البارع الذى يجيد عدة لغات ، ويعرف كيف يتفاهم مع قبائل (الشيربا) و(الأمادواس) ليس سوى كاهن اجتاز مئات الأعوام .. وكيف لو عرفوا محتوى كتاب (الشوكارا) القادر على تحويلك إلى إنسان آخر !

فى ذلك اليوم ترجلت العربات الجيب التى تحمل النجمة الصينية الحمراء أمام ذلك الدير الجبلى ، وترجل الجنود الصينيون بثيابهم الخضر المميزة .. ومعهم كان شاب بسيط الثياب يلبس تلك البذلة الصينية الموحدة التى لا تدل على وضعك الاجتماعى .. كان هذا الشاب هو (هن ـ تشو ـ كان) نفسه ..

وقف الرهبان بأقدامهم العارية ورءوسهم الصلع يراقبون هؤلاء القادمين الذين لا يحملون خيرًا .. بينما دلف الصينيون إلى الدير ..

لم يكن لهذه الحملة هدف محدد سوى التواجد .. فقط هم يعلمون هؤلاء القوم أنهم هنا وقادرون على التدخل ..

راح (هن ـ تشو ـ كان) يراقب الرهبان المتوترين ، وتذكر كيف أنه كان واحدًا من هؤلاء منذ قرون .. فقط هم لم يبلغوا درجة الكارما الواجبة .. عندما تتوحد مع الكارما لن تخاف بل تستشعر الشفقة على الخطر الذى يهددك ..

دخل الجنود الصينيون الدير وراحوا يعبثون هنا وهناك . أحدهم تحسس عنق تمثال بوذا ساخرًا .. أما الآخر فأسقط مجموعة من لفافات الصلوات على الأرض ..

كان هناك إناء كبير من الخزف على المذبح فأسقطه أحدهم متظاهرًا بأنه لم يتعمد هذا .. .

يحتاج (هن ـ تشو ـ كان) إلى طاقة تحمل أعلى من هذا كى يقاوم .. كان يعرف أن هذه المجموعة مجرد صبية يمكنه أن يقهرهم بسهولة ، ولكن يظل السؤال : ماذا بعد ؟ أولاً سوف ينقلب الجيش الصينى كله ضدك .. وأنت لا تستطيع مواجهة الجيش الصينى ..

ثانيًا سوف يحل العذاب بهؤلاء الأبرياء فى الدير والقرية المجاورة ، ولن تكون أنت هنا لتحميهم .. حتى لو تواجدت فلن تستطيع مواجهة سرب الطائرات الذى سيحلق ليقذف بعشر قنابل تحيل الدير وما حوله إلى خراب ..

هكذا ابتلع المشهد وصمت ..

كان يقف وسط هذا الصخب عندما أدرك أنه يدوس على تراب .. التراب الذى كان فى هذا الوعاء الخزفى المهشم .. شعر بحذائه يتورط فى شىء .. حينما دقق أكثر رأى أنها قلادة غريبة الشكل ..

يرفع رأسه فتلتقى عيناه بعينى كبير رهبان الدير .. وإذا بالراهب العجوز يهز رأسه موافقًا ..

للحظة تكلمت النظرات ..

- *« نعرف أنك صادق .. نعرف أنك لست منهم .. خذها واعمل على حمايتها »*

- *« لكن .. أيها الأب العظيم أنا .. »*

- *« بحق (جواتاما) خذها .. أنت لا تفهم مدى أهميتها لنا »*

هكذا انحنى (هن ـ تشو ـ كان) فالتقط القلادة ودسها فى عنق حذائه ذى الرقبة ..

فرغ الصينيون من التفتيش والتدنيس فأطلقوا الصيحات يجمعون الرجال ، وسرعان ما ركب (هن ـ تشو ـ كان) معهم سياراتهم الجيب وغادروا المكان ..

لم يكن بوسعه العودة للدير .. هناك دائمًا واش سوف يخبر الصينيين .. هكذا قرر أن يحتفظ بها ..

وفى غرفته الخشبية البسيطة التى لا تحوى إلا فراشًا وحوضًا للغسيل ، أطل من النافذة ليرى كتيبة صينية تؤدى تدريبات الصباح وسط المروج الجبلية .. سوف يتبع هذا الجلوس على الأرض لقراءة تعليمات الرئيس (ماو) من الكتاب الأحمر الصغير الذى يعتبرونه كتابًا مقدسًا ..

هكذا مد يده يتفحص تلك القلادة التى وجدها فى الدير ..

كانت تمثل تنينًا ككل شىء يمت لهذه البلاد ، لكن النقوش الدقيقة على قاعدته كانت بلغة يعرفها .. تلك اللغة التبتية المنقرضة التى كان يتكلمها ، ومن العسير أن يجد أحدًا يعرفها اليوم .. .

كانت تقول :

- « مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات »

ما معنى هذا ؟

لم يفهم ..

على كل حال سوف يحتفظ بهذه القلادة التى تبدو ذات قيمة .. ولسوف يعيدها إلى الراهب يومًا ما ..

★ ★ ★

لكن هذه اللحظة لم تأت لأنه انشغل بعمله الجديد والمشكلة التى حدثت بعدها ..

جاء اليوم الذى وجد فيه أنه فى الهند يقوم بزيارة قصيرة ، ثم تحمله الطائرة إلى وطنه الثانى .. مصر .. البلد الذى آواه عندما فر من واقعه الجغرافى والزمنى ..

وجاءت اللحظة التى قابلته فيها فى تلك الشقة التى اتخذها فى (الزمالك) .. هناك جالية صينية لا بأس بها فى القاهرة وبوسعه أن يذوب وسطها .. وكما قلت سابقًا أنت لا ترى فيه سوى شاب آسيوى متأنق يضع نظارة سوداء ويحمل حقيبة أوراق ، أقرب إلى رجل أعمال من هونج كونج جاء يعقد صفقة لتصدير الأقلام الجافة !

فى شقته الفاخرة رحب بى كعادته هاتفًا :

- « (ريفااات) ! »

أنا من المحظوظين القلائل الذين يثرثر أمامهم هذا الفتى على راحته ، وقد راح يحكى لى عن حياته هناك وعن الخبرات الغريبة التى اكتسبها ..

ـ « وهل ما زلت محتفظًا باللياقة ذاتها ؟ »

قلتها وأنا ألوح بيدى لأطرد ذبابة سمجة قررت أننى كوم من القمامة لسبب ما ..

فى اللحظة التالية لم أدر ما حدث لأننى وجدت يده تحت أنفى . كان يقف على بعد ثلاثة أمتار منذ ربع ثانية ، وفى كفه وجدت تلك الذبابة وقد حشر جناحها بين إصبعين ..

اتجه للنافذة فأطلق سراحها .. لا أعتقد أنها ستعيش ما لم تتعاط علاجًا للنوبات القلبية .. لكن الإجابة كانت بليغة جدًا على كل حال ..

قال لي :

ـ « إن اللياقة جزء من عقيدتى .. دعك من أن تدريبات النافاراى يمكن أن تتم فى أى مكان .. إن اصطياد الذباب تمرين لا بأس به يمكن تؤديه فى فناء خلفى ، لكنه لا يتعلق بالسرعة بل يتعلق بالتركيز .. »

ثم قال وهو ينظر لى مليًا :

ـ « أما أنت فتشكو انعدام اللياقة .. أنت تتداعى سريعًا يا (ريفات) .. »

لا أعرف كيف حدث هذا ، لكنى شعرت بإرهاق غريب .. فجأة وجدت أننى عاجز عن رفع ذراعى أو الكلام .. ونظرت ليدى فأصابنى الهلع .. منذ متى صارت عظامى بارزة بهذا الشكل ؟

نظر لى فى فهم واتسعت عيناه رعبًا ثم صرخ :

ـ « لا تخف .. كان يجب أن أعرف هذا ! »

ثم هتف ضاغطًا على كلماته :

ـ « بل أنت تزداد شبابًا ! »

فجأة بدأت أشعر بأننى أتحسن .. واستعدت أنفاسى .. نظرت ليدى فوجدتها كما عرفتها .. ليست يدى الموناليزا طبعًا ، لكنها ليست يدى جثة متوفاة منذ قرن ..

نظرت له فى حيرة فقال :

ـ « هذه هى الكارثة التى أمر بها .. إن كلماتى تتحقق حرفيًا والسبب هو قلادة غريبة وجدتها فى أحد أديرة التبت .. على القلادة كتبت كلمات غريبة تقول (مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات) .. لم أفهم معناها فى البداية ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة ..»

ثم فكر قليلاً وأردف :

ـ « كنت أنظر إلى الصينيين فى غل من النافذة ، وقلت لنفسى : ليت هؤلاء يذهبون للجحيم .. هل تعرف النتيجة ؟ لقد اختفت مجموعة كاملة من الصينيين .. لا أحد يعرف أين هى ولا مصيرها .. لقد انقلبت البلاد رأسًا على عقب .. »

قلت فى ذهول :

ـ « هل تعنى ما تقوله ؟ »

ـ « حرفيًا .. أنت رأيت الآن كيف كنت ستفقد حياتك بسبب كلمة واحدة قلتها بلا تفكير .. مع البعض تصير الكلمات حقائق »

ثم نظر لى فى شرود وقال :

ـ « السؤال هو : كيف أتخلص من تأثير التعويذة ؟ »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٢

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٧

ـ١٣ـ

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراى »

★ ★ ★

لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن الطرقات ازدادت قوة .. ثم سمعوا طرقات من أعلى الكوخ .. هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التى أشعلوها ، وأدرك (هن ـ تشو ـ كان) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم .. إنهم الآن بحاجة إلى وجبة طازجة من الدم ..

الطرقات تتزايد ..

مسئوليتك أن تحمى هؤلاء الأبرياء من خطر بدأته أنت بعد ما كبله ذلك الكاهن التاوى ..

هكذا اتجه إلى باب الكوخ وفتحه فجأة .. كتم أنفاسه وتراجع للخلف .. فى اللحظة التالية اجتاز المدخل واحد من تلك المخلوقات التى رفضت أن تموت .. إنه يتجه إلى داخل الكوخ حيث الأحياء الذين يتنفسون .. وهو يتواثب على قدم واحدة كما يفعلون ..

برغم أن الموقف لا يسمح بممارسة التقاليد ، فإن الكاهن الأخير أرجع رأسه للخلف وصاح :

ـ « تشا سارايانا ! »

ثم استكمل طقوس الإنذار عالمًا أنه لا جدوى منها .. كيو سارايانا .. جوانغ سارايانا .. لا أحد ينذر المسوخ فإن فعل فمن المستحيل أن تفهم .. لكنه فعل ذلك على كل حال التزامًا بالتقاليد أو كما نقول نحن (عملاً بتربيته) ، ثم طار فى الهواء ليوجه ركلاته إلى عنق هذا الشىء .. ترنح المسخ لكنه لم يسقط، وحاول أن يقتنص قدم الفتى لكن هذا تفاداه ببراعة ..

فى هذه اللحظة كان اثنان آخران من الشياتج شى قد دخلا من باب الكوخ يتواثبان .. كتم أنفاسه حتى صار بينهما ثم طار فى الهواء موجهًا ركلة لصدر كل منهما ..

رباه ! إنهم أقوياء فعلاً .. ركلة كهذه تقتل رجلاً قويًا ..

أحد هؤلاء يحاصر المرأة وطفلها المرتعش الباكى فى الركن .. إنه يمد يده إلى الطفل ..

صاح العجوز :

ـ « لا تتنفسا ! »

تطير فى الهواء حتى تبلغ وعاء الطهى ، ثم تصرخ فى المرأة أن تدارى وجهها ووجه صغيرها ، وتطوح محتوى الوعاء فى ذلك الكائن ..

الوعاء كان يحوى الأرز المسلوق طبعًا .. فرأيت ذلك المسخ يرتجف وقد التصق به ذلك الأرز .. على وجهه .. على يديه .. إنه يترنح ثم يصطدم بالجدار ..

تطوح بالأرز فى المسخين الآخرين ..

لا شك فى أنه يبطئ حركتهم فعلاً ..

فى هذه اللحظة ينهار السقف ويهوى اثنان منهم وسط الجليد .. يسقطان على أرض الكوخ ثم ينهضان وهما يزمجران كالدببة ..

يقفز الكاهن الأخير فى الهواء ليوجه ركلة لرأس الأول ، ثم يهوى بسيف يده على عنق الثانى ، ويتفادى عضة محكمة فى اللحظة الأخيرة ..

الأمر يزداد تعقيدًا لأنك غير مكلف بحماية نفسك .. بل بحماية ثلاثة أبرياء .. .امرأة . طفل .. شيخ .. مثلث الوهن الأبدى والنقطة الهشة فى أى جدار .. .

فجأة يأتى العون من حيث لا تدرى ..

ذلك الرجل الذى يلبس ثيابًا ملونة غريبة ولحيته عجيبة الشكل ، وفى يده عصا غليظة .. إنه يقف على الباب و يحمل شيئًا فى يده .. يصيح بك وأنت ملتحم فى القتال :

ـ « أيها الشاب ! خذها فأنا لا أقدر ! »

تثب فى الهواء لتكون أمامه وتمسك بقبضتك هذه الأشياء .. أوراق .. أوراق صفر عليها كتابة بلون أحمر .. دم دجاج .. إنها الفو .. هذا هو كاهن التاو ..

تثب فوق المنضدة المتداعية ثم تدور فى الهواء لتهبط على قدميك أمام أول هذه المسوخ ، وتلصق بعض الأوراق بجبهته بينما هو يوشك على الانقضاض عليك .. ثم تنقض على آخر .. تفعل الشىء ذاته .. فآخر ..

إنهم يسقطون أرضًا .. لا تبدو عليهم علامة حياة إلا عيونهم الغاضبة المجنونة التى تلاحقك حيثما كنت ..

يقول كاهن التاو :

ـ « عدت إلى الغابة برغم العاصفة لأتأكد من أن الجليد غطاهم فوجدتهم قد رحلوا .. عرفت أن أحدهم قد انتزع الفو .. هكذا اقتفيت آثار أقدامهم على الجليد فقادتنى هنا .. كنت قد اعتمدت على الأرز كى أنفرد بكل واحد منهم إذ يسقط على الأرض ، لكنى ما كنت لأقدر على صنع ما صنعته أنت الآن وهم بكامل عنفوانهم »

ثم صاح فى الثلاثة الواقفين ..

ـ « هلم يا عجوز .. هلمى يا امرأة مع طفلك .. سوف نحرق الكوخ .. »

يقول (هن ـ تشو ـ كان) :

ـ « قالوا إنك لا تقدر على قتل الموتى .. »

ـ « الأمر ما قلت ، لكنهم سيظلون عاجزين عن الحركة ما بقيت هذه الأوراق .. سوف يذوب الجليد ويطمرون تحته ، وتأتى العواصف لتدفنهم أكثر .. الشيانج تشى يُدفنون ولا يُقتلون .. »

والمرأة تحمل طفلها خارجة ، بينما تتعاون أنت مع كاهن التاو على سكب زيت السماور فى كل مكان .. ثم أنك تركل السماور لتزحف الزهرة المقدسة فى كل أرجاء المكان ..

النار تتعالى وتحيط بالشيانج شى ..

تتراجعان إلى الباب .. ما بقى من السقف ينهار ..

أنتما الآن فى الخارج تراقبان الجذوة الهائلة تتعالى ..

لكنك لا تستطيع أن ترحل دون أن تعود لتطل من باب الكوخ على الأجساد المحترقة بالداخل وتصيح :

ـ « سوان هاتشاه سارايان ! »

لقد أنذرتكم بأننى سأستعمل (الساراياتا) ..

هكذا تقول التقاليد .. وعليك أن تطيعها حتى لو لم يسمعك الشيانج شى ..

تمـت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٣

-١٤-

لم يصدق (هن ـ تشو ـ كان) عينيه وهو يرى القبور تنفتح .. ومن كل قبر تخرج جثة ملتفة بالأربطة والأكفان . تمشى مترنحة .. .. تمشى على قدمين ..

الرائحة لا تطاق .. ذعره لا يوصف .. لكنه يضع ثقته فى الراهب ..

يرفع الراهب يده فتقترب منه تلك الأجساد السكرى .. مد يده فى كيسه القماشى ، وألقى ببعض قطع الخبز فانقضت تلك الأجساد عليها كأنها كلاب جوعى ..

لا يعرف الكاهن الأخير كيف احتفظ بوعيه وهو يرى هذا المشهد المريع ..

إن (الرولانج) حقيقة .. لا شك فيها .. الموتى غادروا القبور .. الموتى يقفون على أقدامهم ..

لقد تحقق التشود والرولانج ..

وعندما عادت الجثث إلى قبورها نظر له الراهب وقال :

« انتهت طقوس الليلة يا كاهن النافاراى الشاب .. »

عادوا إلى القرية فآوى (هن ـ تشو ـ كان) إلى كوخه .. وفى ضوء الفجر المتسلل قال لنفسه :

« هؤلاء أقوياء حقًا .. إنهم يعرفون كل شىء .. يبدو أننى أخطأت الطريق .. لو أردت الحكمة فما كان على أن أصير (نافاراى) .. ما أعظم ما يعرفون .. »

كانت هناك قصعة بها بقايا العشاء فى ركن الكوخ .. فاتجه إليها ومد أنامله وراح يلتهم بعض الأرز محاولاً أن يطرد من ذهنه صورة الموتى الراقصين ..

لم يستطع النوم .. ..

خرج من الكوخ ووقف يراقب الأكواخ الغافية ..

يراقب تمثال بوذا الموضوع فى وسط القرية .. ويراقب الدجاج الذى صحا من نومه فراح يتسلل ويلتقط الحبوب بانتظار قدوم الإفطار ..

فجأة رأى الديك يخرج .. يطير فى الهواء ليركل دجاجة فى عنقها ركلة ممتازة ، ثم يستلقى على ظهره ويتثاءب .. ثمة دجاجة تصيح كالديك ، ودجاجة أخرى تطارد كلبًا عبر الأكواخ وهى تنبح ..

ما هذا ؟ هل جن الجميع ؟

بل جننت أنت ! هذا واضح ..

ولكن لماذا ؟

لماذا كان للأرز والشاى هذا المذاق الغريب ؟

أنت تناولت عشاءك قبل الذهاب للمقابر فلماذا أصر الراهب على ذلك ؟

هذه هلاوس .. ثمة نوع من الأعشاب المحدثة للهلاوس دس لك فى الطعام والشراب ، والهدف أن ترى ما رأيت من عجائب .. لو أن بعض الرجال ظهروا فى المقابر ملتفين بالأكفان لبدا لك أنهم الموتى وقد غادروا القبور ..

والغرض ؟ إنها حرب بين عقيدتين تحاول كل منهما أن تختبر الأخرى ، وهم ينتظرون عودتك لديرك كى تخبر الرهبان بمدى قوة هؤلاء .. ومعجزة ما رأيت فى قرية (تاشينج دانجاما) ..

عاد إلى الكوخ واستلقى على الحشية .. لا سبيل لطرد هذه الهلاوس من رأسك إلا بنوم عميق ..

الراهب ليس بارعًا فى إيقاظ الموتى ، لكنه بالتأكيد بارع فى تركيب الأعشاب المنومة ..

لا شك فى هذا ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٥

ـ ١٥ ـ

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراى »

★ ★ ★

عندما استعاد (هن ـ تشو ـ كان) وعيه عرف أنه فى حضرة اللاما الأعظم ..

لقد كان الغول قادمًا من على باب الدير وقد بدأ اللعاب يسيل من نابيه مختلطًا بالدم .. إن (الشوكارا) لأضعف من مواجهة هذا الخطر الفريد من نوعه ..

إن . . . .

ماذا ؟ ألاحظ أن نظرة غريبة تتبدى فى وجوهكم .. كأنكم تنظرون إلى مجنون ..

هل اختلطت على الأمور ؟ هل أستكمل قصة لا علاقة لها بما بدأته ؟ لست متأكدًا ..

لكنى على كل حال لا أذكر القصة التى بدأتها .. إن الذاكرة عضو يشيخ كأى عضو آخر .. لماذا نتوقع من الشيوخ ألا تتحمل قلوبهم

عناء الركض أو التسلق ، بينما نندهش جدًا لو بدءوا ينسون ؟

أنا لست على ما يرام ، ولسوف تقدرون هذا ..

أعتذر لكم إذن عن استكمال هذه القصة . فأنا بحاجة إلى الراحة ومراجعة الأوراق ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٤

- ١٦ -

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد انزلق (عزت) معدوم الحيلة إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل .. فقط لتنزلق أكثر .. واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف (يكارك) على الأرضية المبتلة كما ينصح أى ميكانيكى يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد (عزت) نفسه على بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيرًا .. انفتح الباب لتثب منه امرأة ..

- « هل أنت بخير ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ما لم يقله هو أن السيارة مزقت جهازه العصبى ، وداست على ثباته ، وبترت رباطة جأشه .. كلها إصابات خطرة فعلاً .. إن معنوياته تنزف بغزارة ..

ساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسن خاصة وهو يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء ..

قالت له وهى تفتح باب السيارة الأيمن :

- « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت .. »

- « لا .. لا داعى .. »

الحقيقة أنه كان بحاجة لشىء أقوى من ذلك ، لأن صدمة نقص

الكورتيزون بدأت تزعزع كيانه .. هو كما تعرف لا يطيق أى نوع من الانفعال .. هكذا ألقى بنفسه فى السيارة وراح يلهث ..

ـ « (لمياء) .. اسمى (لمياء) .. »

قالتها وهى تجلس وراء المقود ، فلم يهتم بأن يعلق وأرجع رأسه إلى الخلف .. صوت المساحات والمطر الذى يسيل على الزجاج الأمامى ..

انطلقت السيارة فى شوارع الزمالك .. لم يكن قد قال لها وجهته ، لكن عقله كان يعمل بسرعة الآن .. حتى هذه اللحظة كانت كل لوحات (الشرشابى) دقيقة .. المرأة الحسناء .. ماذا بعد ذلك ؟ الوحش ؟ هو لا يصدق هذا ولا توجد له مناسبة ما ، لكن ماذا عن المجاز ؟ ربما هذه الفتاة ليست بالرقة التى تتظاهر بها ..

من هو (الشرشابى) ومن أين جاء ؟ هو تحدث عن مكافأة .. بالمناسبة هل كانت تلك اللوحات التى تظهر (عزت) موجودة عندما دخل القاعة ؟ لا يظن .. كأنه أراد أن يطلعه على مستقبله مجاملة لأنه أعجب بلوحاته ، وعليه أن يستفيد من هذا قدر الإمكان ..

نظر إلى الفتاة بجانب عينه فوجدها تتحسس خدها .. تعتصر اللحم فى شراهة .. لا احد يفعل هذا بنفسه ما لم يكن مخبولاً ..

ـ « لماذا تفعلين هذا ؟ »

قالت وهى مستمرة فى القيادة :

ـ « إنها تلك الحساسية للمساحيق .. الإكزيما .. أحيانًا أشعر بأننى أريد أن أمزق وجهى .. لا تؤاخذنى .. »

ـ « إذن لا تضعى المساحيق .. »

ـ « من الأسهل ألا أعتصر خدى ..»

الصورة التى رآها فى الجاليرى كانت تظهر وجه الفتاة مشقوقًا وثمة وحش يخرج من اللحم الممزق .. هل لهذا معنى ما ؟

كان يزداد توترًا فى كل لحظة ، لذا قال لها فى حزم :

ـ « أرجو أن تعيدينى إلى الجاليرى .. . أنا على ما يرام الآن .. »

ـ « لا تبدو كذلك .. »

ـ « أرجو أن تعيدينى هناك فقد نسيت شيئًا مهمًا .. »

هكذا دارت بالسيارة عائدة إلى ذات النقطة التى كادت تدهمه فيها ، وسألته مرة أخيرة عن صحته فقال إنه بخير .. وسرعان ما كان قد دخل الجاليرى ثانية ..

هذه المرة كانت وجهته محددة .. القاعة الصغيرة المتوارية التى دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد بابًا موصدًا عليه رمز بصرى يوحى بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مغلق ..

لقد تلاشى معرض (عفت الشرشابى) تمامًا كأنه كان هلوسة .. ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقة ..

عاد إلى القاعة الرئيسة فاتجه إلى الفتاة الجالسة أمام الدفتر وسألها :

ـ « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان (عفت الشرشابى) .. أين هى ؟ »

هزت رأسها فى ملل وقالت :

ـ « لا أعرفه .. »

نظر إلى الدفتر مفكرًا فى عمق .. هنا سمع الفتاة تتكلم بصوت غريب :

ـ « لماذا عدت يا أحمق ؟ لقد كان الإنذار واضحًا ! »

رفع رأسه مذعورًا فوجد أن الفتاة تمد يدها إلى خديها .. كأنها تنتزع قناعًا من اللاتكس وتمزقه .. كانت تبذل جهدًا هائلاً كى تفعل ذلك ..

الآن يتذكر أن هذا هو بالضبط المشهد الذى رآه فى لوحة المعرض ..

هنا أطلق صرخة هائلة ..

انطلق يركض نحو باب الخروج .. ينزلق .. يركض ... حتى صار فى الشارع ..

أعتقد أنه لم يكف عن الجرى حتى هذه اللحظة ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٨

ـ ١٧ ـ

رحت أدق باب (عزت) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكنى قررت اللجوء إلى حل قلما ألجأ إليه .. لقد تبادلت مفتاح باب شقتى مع (عزت) منذ زمن ، لكننا أقسمنا على ألا نستعمله إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته فى القفل ودخلت .. هذه المرة أغلقته ورائى ..

كانت الشقة هادئة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعى بعد ما أصابه من رعب ، لكنى اندفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

مررت على التمثال أثناء مرورى فبدا لى أكثر غرابة .. كانت الفتاة تقف وحدها صارخة . كأنها جنت .. لقد رحل مصاص الدماء الذى كان يقف وراءها ..

هكذا اندفعت بسرعة أكبر نحو غرفة النوم وكان بابها مفتوحًا ..

على الفراش رأيت مشهدًا مريعًا .. رأيته بوضوح لأن هناك مصباحًا خافتًا أبقاه (عزت) مضاء ..

كان ذلك التمثال من الصلصال يجثم فوق (عزت) وقد ثبت ذراعيه إلى جانبه وألصق وجه بعنقه فى وضع ممتاز جدير بأفلام (هامر) .. لم يكن (عزت) يبدى أيًا من أمارات المقاومة ..

المشهد واضح ..

هرعت خارج الغرفة فوجدت عصا مكنسة .. فى الصالة ؟ نعم .. كل شىء ممكن فى شقة (عزت) ..

عدت إلى ذلك المسخ المنهمك فهويت عليه بالمكنسة ..

تهشمت المكنسة أى صلصال هذا ؟ لكنه لم يتحرك ولم يبد أى علامة على أنه شعر بها ..

على كل حال إذا كان هذا تمثال مصاص دماء فلأتصرف كما يجدر بـ (فان هلسنج) .. لقد صارت المكنسة وتدا ممتازًا الآن ..

أمسكت بالوتد بكلتا يدى ثم غرسته حتى نصفه فى موضع القلب من ذلك الشىء .. لم افعل أكثر من هذا حتى لا يخترق صدر (عزت) نفسه ..

عندها فقط بدا كأن قواه خارت .. تهاوى جسده فوق عزت فأمكننى أن أجره وأوجه له عدة ركلات .. ثم هرعت لأفحص ذلك الفتى .. كان راقدًا بلا حراك وصدره يعلو ويهبط ، عنقه ما زال سليمًا لكنى أدركت أن تعبيرًا من الذعر والاستسلام يكسو ملامحه .. هذا العرق البارد لا يريحنى ..

ناديته عدة مرات .. ثم قررت أن الوقت حان كى أحقنه ببعض الكورتيزون ..

هرعت إلى الصيدلية المعلقة فى الحمام وفتشت عن بعض الحقن ، ثم ملأت محقنًا ..

هناك من يقف خلفى ..

نظرت ورائى فوجدت تمثال الفتاة يقف على باب الحمام !

لم تكن تصرخ هذه المرة بل على شفتيها ابتسامة شبه معسولة .. لكنها كما هى العادة لا ترى .. .

كانت تتقدم منى ببطء .. ببطء .

لابد من حل .. لكن ما هو ؟

نظرت إلى حوض الماء .. إن السخان ممتلئ بالماء الساخن .. هناك دورق كبير موضوع إلى جوار الصنبور .. هكذا ملأت الدورق بالماء الساخن بسرعة .. بسرعة .. نحن فى الليل حيث اندفاع الماء ممتاز وإلا لاحتجت إلى أسبوع ..

الدخان يتصاعد من الدورق الذى صار أداة قتل حقيقية ، لكنى لم أصوب نحو وجهها المخيف .. صوبت على القدمين لأغرقهما بهذا الماء الذى تناثر بعضه ليلسع ساقى ..

بدأ الصلصال يذوب .. وتهاوى التمثال على الأرض .. لكنه ظل يمد يده محاولاً الظفر بى ..

ملأت الدورق مرتين وصببته على المسخ الراقد على الأرض ..

أخيرًا تمكنت من أثب فوقه عائدًا إلى (عزت) .. .

فى اللحظة التى تعالى فيها صوت يعبث فى باب الشقة .. الأخ الثانى يحاول الدخول وقد أدرك أن الصيد طار ..

جريت إلى حيث كان (عزت) فأفرغت المحقن فى ذراعه ثم طلبت منه أن ينتظر .. عدت إلى الحمام فملأت الدورق من جديد ومشيت فى حذر إلى باب الشقة .. فتحت الباب باليد اليسرى وعندما ظهر الوجه المريع قذفت بمحتوى الدورق فيه ..

من جديد بدأ الصلصال يذوب .. رأيت الهيكل الذى صمم (عزت) التمثال حوله .. ما هذا بالضبط ؟ عدت إلى غرفة النوم لأحضر المكنسة المهشمة وأولجتها فى صدر ذلك التمثال شبه الذائب ..

ثم إننى جررته إلى داخل الشقة وأغلقت الباب فى الوقت الذى جاء فيه (عزت) مترنحًا من غرفة النوم يتساءل عما يحدث .. لم يعرف أى شىء على الإطلاق .. صحت وأنا أطعن كتلة الصلصال :

ـ « ما هذا الهيكل الذى وضعت الصلصال حوله ؟ »

قال فى شىء من الارتباك :

ـ « عجينة ورق .. بعض الخشب والسلك .. »

ـ « وعجينة الورق هذه ؟ من أين جئت بها ؟ »

ـ « هذه أشياء أشتريها بالكيلوجرام من الباعة .. أعتقد أن هذه كانت كتبًا قديمة مصفرة مكتوبة بلغة لا أعرفها .. »

ـ « ألم تجد خيرًا من كتب سحر قديمة كى تستعملها فى صنع تماثيل لمصاصى دماء ؟ »

ـ « لم أعرف هذا .. قلت إنها لغة لا أعرفها .. »

ثم نظر إلى الصلصال الذائب والفوضى فى كل مكان .. عندها بدأ يدرك ما حدث :

ـ « أيها القاتل ! أنت دمرت تماثيلى ! دمرتها ! »

ثم سقط جاثيًا جوار الجثة التى فرغت من طعنها وصرخ :

ـ « كانت تحفة فنية وأنت دمرتها فى دقائق .. لم تكتف بالماء الساخن ، بل مزقت ما بقى تمزيقًا .. إن أمثالك يجب أن يشنقوا فى ميدان عام ! »

وجدت نفسى أغادر الشقة مصحوبًا بلعناته وسبابه ..

لكنى قدرت أنه سيرى الأمور بمنظار أفضل فى الصباح ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٩

ـ ١٨ ـ

لم أقتنع بحرف مما قاله لى (عزت) ، وكانت تجربتى عملية جدًا .. لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القطط حول صناديق القمامة .. سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لى فى حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطًا لعربة جر ، فسألت (عزت) عن رأيه .. قال فى تردد :

ـ « أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت فى بسمة انتصار :

ـ « هل رأيت ؟ كلنا نملك انطباعات معينة عن أفكار الحيوان .. وأنت تطبق ما فى عقلك الباطن .. لا أحد يقبل ألا يكون الطاووس مغرورًا والحمار متضايقًا من عبوديته .. أرجو أن تنسى هذا الهراء .. »

ـ « وماذا عن تلك التعويذة التى حصل عليها (أنيس) رحمه الله ؟ »

ـ « أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لابد أنه ابتاعها فى الخارج .. ولو كنت مكانك لأعدتها لورثته لأنها قد تساوى أكثر من كل العقارات التى يفتش عنها .. »

قال فى ضيق :

ـ « هذا الحيوان لا يستحق حتى الهواء الذى يتنفسه لكنك محق .. هذا فى النهاية مال .. ومال ليس من حقى .. »

ـ « أحسنت القول »

هذا هو (عزت) الذى أعرفه .. قد يكرهك بجنون لكنه لا يقبل مليمًا لا يستحقه منك ..

أقترح أن نمر على بيت (مصطفى) لنخبره بالأمر فنحن قريبان منه جدًا ..

قلت فى تحفظ إننى لن أصعد معه لأنه لا علاقة لى بالرجل ..

هكذا وجدنا أننا نجتاز شوارع حى المهندسين .. من الغريب فعلاً أن يتواجد الابن وأبوه فى نفس الحى ولا يزور الأول الثانى ..

انتظرت فى مدخل البناية الفاخرة على حين ركب (عزت) المصعد .. كانت الساعة العاشرة مساء وقدرت أن (مصطفى) هذا لم ينم بعد .. وقفت أنتظر وأراقب الشارع .. فجأة لمحت سهم المصعد يشير إلى النزول ..

(عزت) يظهر على باب المصعد .. إذن كان (مصطفى) خارج البيت .. لا شك فى هذا ..

لكن هناك شيئًا خطأ .. .إنه ممتقع الوجه مرتبك ..

هرع نحوى وطلب منى وهو يلهث أن آتى معه ..

من جديد ركبنا المصعد إلى الطابق الرابع حيث جاء ..

ـ « ماذا حدث ؟ »

- « سـ .. سـ .. سترى بنفسك ! »

كان الباب مفتوحًا .. دخلنا بحذر .. وعلى ضوء البهو الخافت رأينا الرجل .. أعنى أننا رأينا رجلاً لأننى لم أر (مصطفى) هذا من قبل .. كان راقدًا على بطنه وسط المكان والدم ينزف من رأسه بلا توقف .. هذه علامات اعتداء لا شك فيها .. لكنى لم أجد أية أداة تسمح بضربه هكذا ..

يا لها من كارثة ! أعتقد أننا تورطنا بما فيه الكفاية فى هذه القصة .. زحفت نحو الرجل وتحسست نبضه فوجدت أنه حى .. هو فى غيبوبة لكنه حى ..

لففت يدى فى منديل واتجهت إلى الهاتف لأطلب الشرطة ..

- « قلت لى ما العنوان يا (عزت) ؟ »

أملانى (عزت) عنوان البناية وهو يرتجف ..

وضعت السماعة ورفعت عينى لأجد أنى أحدق فى عينين واسعتين هيابتين لقط شيرازى ضخم جاء من داخل الشقة، ووقف جوار الجدار يراقبنا كأنه يخشى أن يلوث قدميه بالدم .. .

قلت فى شرود :

- « يبدو أنه رأى ما حدث .. ترى ماذا رأى ؟ من المؤسى أن الشاهد الكامل يكون أخرس غالبًا »

قال (عزت) وهو ينظر لوجهه فى المرآة :

- « كان يدعوها (فاتن) ! »

التفت للخلف فى دهشة فعاد يقول :

- « هذا ما يفكر فيه القط .. (مصطفى) كان يدعو الفتاة التى ضربته باسم (فاتن) ! »

- « هل تمزح ؟ »

لكنه لم يكن ينوى هذا .. فقط مد يده وحمل القط المسالم وضمه إلى صدره ..

بعد نصف ساعة جاء رجال الشرطة ..

عندما تبدأ الليلة بجريمة قتل فإنها لا تنتهى أبدًا .. وقد حكينا لرجال الشرطة ذات القصة عشر مرات .. بينما حمل الإسعاف الجريح إلى سيارتهم ..

وجدت (عزت) يوشك على أن يحكى قصة القط ، فقلت له همسًا :

- « اصمت يا أحمق .. سوف يحملونك إلى المصحة العقلية حملاً .. أعتقد أن الرجل سيستعيد وعيه وسوف يتكلم ، فإن لم يفعل يمكنك القيام بهذه المجازفة .. ليس الآن .. »

قلتها بينما تلك المرأة الحسناء الملهوفة التى جلبها رجال الشرطة

تصرخ وتولول وتلطم خديها .. أداء هستيرى رائع بحق .. فقط لو لم يكن اسمها مدام (فاتن) مطلقة (مصطفى) ..

نظرت لها بعمق وعرفت أنها هى .. لمسة التمثيل هذه واضحة جدًا لكن ليس بوسعنا عمل شىء ..

★ ★ ★

بعد يوم فتح (مصطفى) عينيه فى المستشفى وقال لوكيل النيابة :

ـ « (فاتن) فعلتها .. جاءت شقتى تتكلم عن ميراث أبى ودارت بيننا مشادة .. لم أتصور أنها ستلتقط تلك المزهرية وتهوى بها على مؤخرة رأسى .. »

لقد افترضت المرأة أنه مات ، وجمعت بقايا المزهرية وأخفتها فى حقيبتها لأنها قدرت أن بصماتها على كل الأجزاء المهشمة ..

لم نستفد كثيرًا بشهادة القط ، لكنها كانت قريبة حاضرة لو أعوزنا البحث ولو كان (مصطفى) قد مات فعلاً .. فقط كان من الصعوبة بمكان أن نجد محكمة تأخذ بشهادة قط شيرازى وجل ..

قلت لـ (عزت) وأنا أتفحَّص ذلك اللوح :

ـ « لقد صدقت الكلمات .. لكن يبدو أنه لا يعمل فى كل الأحوال .. »

قال باسمًا :

ـ « لو كان يعمل طيلة الوقت لجننت .. تصور كم الأفكار التى كنت سأسمعها من الذباب والصراصير فى المطبخ .. بالمناسبة الذباب كثير جدًا الليلة .. هش .. هش ! »

وارتطمت يده باللوح الصلصالى الذى أضعه على حجرى ..

كراش ش ش ش !

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٠

ـ ١٩ ـ

« النافاراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقى حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من (لهاسا) .. »

★ ★ ★

كما حكى لى (هن ـ تشو ـ كان) فيما بعد كنت أتصرف بغباء غريب ..

اتصلت به عدة مرات كى يزورنى ثم قررت أن أزوره فلم أجده .. الحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس فى البيت ..

كانت الفكرة تؤرقه .. الرجل الذى استضافه هو أنا ..استضفته يوم جاء إلى مصر مذعورًا يتظاهر بالخرس .. . وأنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

لقد ظهر اللاما فى (لهاسا) .. سواء كان هذا حقيقيًا أم لا فلا شك أن البوذيين يعتقدون هذا .. إذن هو موعد تحقق النبوءة ..

كان غارقًا فى هذه الأفكار وهو يمشى فى الشارع عندما رفع رأسه ليجدنى أمامه ..

صحت فى مرح :

ـ « هأنتذا ! من العسير أن أصدق أنك فى مصر منذ شهر ولما نلتق ! »

حياتى فى ارتباك بعربيته المميزة وقال :

ـ « كنت مشغولاً يا (ريفات) .. »

أصررت على أن أدعوه على الغداء .. لن أتركه .. كان يحاول التملص لكنى كنت غبيًا ككل أبطال هذه المواقف ..

ظل ساهمًا طيلة الوقت .. وعرضت عليه أن يذهب معى إلى قريتى بضعة أيام ، فكان حادًا جافًا فى الرفض بطريقة آذتنى .. لم أفهم سبب هذا التوتر .

هكذا قررت أن أتركه وشأنه بعض الوقت .. أنا غير ودود بطبعى ، لكنى أتوقع مودة بالغة مع من أظهر لهم صداقتى .. كنت عدوانيًا وأنا أخبره بهذا فلم يجد مناصًا من أن يحكى لى كل شىء ..

أصغيت للقصة بعض الوقت ثم قلت له وأنا أقود سيارتى خارج الضاحية :

ـ « أعتقد أننى ظلمتك .. لكن دعنى أقل لك إننى لا أؤمن بحرف من هذه النبوءات .. لا أعتقد أنه من الممكن أن تقتلنى لأى سبب .. دعنا ننس هذا الكلام الفارغ .. »

قال فى حيرة :

ـ « النسور الحديدية تحلق فى سماء التبت .. والخيول ذات العجلات .. لو لم يحدث هذا لصرت مطمئنًا .. »

ـ « البوذية لم تغادر التبت لتستقر فى الهند .. هذا جزء لم يحدث .. »

كنا الآن نقطع طريقًا ضيقًا وعرًا .. لقد ابتعدنا عن العمران كثيرًا جدًا ..لا أعرف ماذا جاء بى إلى هنا .. لكنى قدرت أن من الواجب العودة .. كانت هناك صخرة تسد الطريق أمامنا .

وكان هناك (خُص) على جانب الطريق يجلس أمامه رجل غليظ الملامح والشارب أسمر اللون يبدو كأنه من عمال الطرق ، فأوقفت السيارة واتجهت نحوه .. سألته عن طريقة للخروج من هذه المتاهة ..

قال لنا :

ـ « تفضلوا واستريحوا أولاً .. لابد من شرب الشاى ثم أخبركم بطريقة العودة .. »

لم نكن راغبين فى هذه الدعوة ، لكنى بينى وبينك أعشق هذا النوع من الشاى الذى يعد على (الراكية) .. إن له مذاقًا فريدًا ..

قال الرجل وهو يضع البراد على النار :

ـ « هل صاحبك غير مصرى ؟ »

هززت رأسى أن نعم .. لو لم يكن قد عرف هذا فهو فى ورطة ..

قال الرجل وهو يدير ظهره لنا :

ـ « أنا لا أحب أن أفسد كرم الضيافة ، لكن كل سنة وأنتما طيبان .. نريد الحلوان ! حلوان خروجكما من هنا سالمين ! »

وعندما استدار كان يصوِّب نحونا رشاشًا آليًا من طراز (بور سعيد) .. الطراز الذى يسرقونه من الجيش ويبيعونه فى الصعيد ..

هذا سطو مسلح .. لقد كنت غبيًا .. لكن هذه الأمور تنتهى على كل حال .. سوف أفقد ساعتى وما معى من مال ، لكنه لن يأخذ السيارة على الأرجح ..

لكن الكاهن الأخير كان له رأى آخر .. لقد وقف وباعد بين ساقيه وصاح :

ـ « تشا سارايانا ! »

قال الرجل وهو يصوِّب الرشاش نحوه :

ـ « قل لهذا المخبول الأصفر أن يسمع الكلام ! »

ـ « كيو سارايانا ! »

ـ « سوف أطلق الرصاص .. أنا لا أمزح ! »

ـ « جوانغ سارايانا ! »

وانطلق الرصاص لكن الكاهن الأخير لم يكن هنا ليتلقاه .. كان قد حلق فى الهواء فوق رأس الرجل ثم وجه له ركلة عاتية فى حنجرته جعلته يطير فى الهواء ليضرب جدار (الخص) ويهشم جزءًا منه ، ثم يسقط على ظهره .. ضربة واحدة لكنه لم يعرف أنه تلقاها ..

وقف (هن ـ تشو ـ كان) يرمق المشهد ثم قال بطريقته الركيكة :

ـ « أنا أضرب سيئ .. »

قلت وأنا أتفحص الجثة :

ـ « فى الحقيقة أنت تقتل سيئ ! لقد مات ! »

ـ « وجهت ضرباتى لمنطقة (كورا) التى تؤدى للموت .. لا وقت لتضييع الضربات عندما يتعلق الأمر بسلاح نارى »

عندما عدنا أخيرًا واتصلنا برجال الشرطة ، قضيت يومًا مرهقًا بحق وسط تحقيقات لا أول لها ولا آخر .. كانت حالة دفاع عن النفس واضحة ، وقد عرفوا قاطع الطريق على الفور .. إن سجلّه كان حافلاً ..

وسط الزحام نظرت للكاهن الأخير مفكرًا فسألنى عن سبب شرودى .. قلت :

ـ « النافاراى قتل مضيفه .. ألم تلحظ هذا ؟ الرجل الأسمر لقى حتفه على يد الزهرة الزرقاء .. هل تعرف اسم هذا الرجل ..؟ . »

نظر لى متسائلاً فقلت :

ـ « اسمه رجل البحر ! بعبارة أدق اسمه (سليم البحراوى) ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٠

ـ ٢٠ ـ

شعرت بالخجل من نفسى .. أملأ الدنيا صراخًا بالتشدق بمنطقى العلمى ، ثم أتراجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذى لا يكف عن القول إن الثعابين فى منطقته غير سامة ، ثم يثب فى الهواء مترين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هززت رأسى وطلبت من (ماجى) أن تعيرنى الكشاف الذى تحمله فى حقيبتها ..

أشعلت لفافة تبغ فطلبت منى المرأة لفافة تبغ أخرى .. ناولتها واحدة وناولتها الثقاب لأن يدى كانت ترتجف .. ثم قررت أن أترك لها العلبة كلها .. هكذا باعدت بين ساقيها وهى جالسة ووضعت العلبة فى حجرها .. .

دخلت الغابة تاركًا (ماجى) مع السيدة تخبرها أن (رفعت) العفريت سوف يجد الطفل حتمًا .. إنه يجيد هذه الأشياء ..

أشجار فى كل مكان .. يسهل أن يضل المرء طريقه فعلاً هنا خاصة فى الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحى ورحت أحك علامات واضحة على طبقة الطحلب التى تكسو الأشجار التى أمر بها .. علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفى رحت أنادى (دانييل) بأعلى صوتى ..

كنت أواصل البحث عندما تذكرت شيئًا من أدب (مارك توين) ..

قصة (هاكلبرى فان) بالذات .. هكذا انحنيت على الأرض والتقطت صخرة كبيرة لها وزن مطمئن ..

رحت أركض عائدًا عكس اتجاه الأسهم ، وكانت لياقتى وقتها عالية فلابد أننى عدت من ذات الطريق فى ثلاث دقائق ..

أخيرًا خرجت من نطاق الأشجار .. وكان ما رأيته كما توقعت ..

(ماجى) تحاول التملص بينما تلك السيدة تضع يدها على فمها ، والغرض أن تجعلها تستنشق منديلاً يغطى الأنف .. كانت السيدة قوية و(ماجى) هشة لذا بدا أن الصراع لن يدوم ..

أخيرًا سقطت (ماجى) على الأرض وقد فقدت الوعى ..

قبل أن تتخذ السيدة خطوة أخرى كنت قد هويت على رأسها من الخلف بالصخرة .. كان الجنون والغضب يعمياننى لهذا كانت الضربة شبه قاتلة ..

وسقطت المرأة على الأرض ليسقط الشعر المستعار ، وينفتح المعطف الثمين كاشفًا عن جسد رجل مكتنز بالعضلات ..

أخيرًا أرى الوجه الراقد على الأرض .. الذقن الحليقة بعناية .. الملامح الصلبة .. ماكياج كامل جعل منظره يبدو غريبًا ..

كان ينزف من مؤخرة رأسه فخشيت أن أوجه ضربة أخرى ..

الآن (ماجى) تستعيد صوابها بعد ما زال تأثير الكلوروفورم .. تمسك برأسها الذى لا يبدو أن عنقها قادر على حمله ..

قالت لى وهى تلهث :

ـ « رجل ! كانت هذه خدعة ! »

قلت:

ـ « لقد خدعنا معًا .. لكنى إذ مشيت فى الغابة تذكرت قصة (هاكلبرى فان) .. تنكر (هاكلبرى فان) فى ثوب فتاة ، لكن امرأة عجوزًا قوية الملاحظة رأت كيف يشعل الثقاب .. الفتيات يشعلن الثقاب بإبعاده عن وجوههن بينما الرجال يشعلونه نحو وجوههم .. الرجال الذين يلبسون جلبابًا يفتحون سيقانهم ليضعوا الأشياء فى حجرهم وهم جلوس ، بينما النساء يضممن سيقانهن على الأشياء الموضوعة فى حجرهن ..

فى هذه الثوانى أظهر الرجل علامتين من علامات (مارك توين) ، لكن لم أكن لأشك فى شىء لو لم تضعنى (المدام) فى هذا الجو من التوتر النفسى وتوقع الخطر .. دعك من ترددها (نعم يتعلق برجل . لا .. بل يتعلق بامرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح ..) ..

أعتقد أننى مدين لهذه المرأة لأنها جعلتنى أعود .. جعلتنى متوترًا غير قادر على ابتلاع هذه الخدعة ..

قالت (ماجى) وهى ترمق الرجل الراقد على الأرض :

ـ « كانت محقة .. أحدنا ما كان ليرى النهار .. لابد أن هذا سفاح أو شىء من هذا القبيل .. »

قلت وأنا أتأبط ذراعها :

- « على كل حال يجب أن نسرع قبل أن يفيق .. لابد من جلب رجل شرطة او اثنين .. »

فجأة سمعت صوت البكاء قادمًا من الغابة ..

أجفلت ونظرت للوراء وكذا فعلت (ماجى) .. .

هذه المرة رأيت طفلاً فى السابعة من عمره يبكى وهو يخرج من بين نطاق الأشجار ..

صاحت (ماجى) فى ذهول :

- « هل أنت (دانييل) ؟ »

صاح الطفل وهو يغطى عينيه الدامعتين بقبضتيه :

- « أمى ! لقد دخلت الغابة لتلبى نداء الطبيعة وطلبت منى أن أنتظر ! لكنها لم تعد ! أنا خائف يا سيدى .. خائف ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٢

- ٢١ -

هكذا رحت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل على المائدة ، ثم اتجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن (أندرو) كان محقًا .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شىء .. أيًا ما كان ما يحدث بالداخل فهو شرير .. دعك من أننى أنا بالذات لا أجد له تفسيرًا .. ..

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العباءة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسلية حقًا .. .

لكنى على الباب لم أحب كثيرًا تلك الأصوات الصادرة من الداخل .. للحظة الأولى فطنت إلى حماقتى .. . إن أبسط الاحتمالات طرًا هى أن يكون المتسلل لصًا ، فكيف أواجهه بهذا الشمعدان ؟

جريت عبر الممرات إلى غرفة (جراهام) فقرعت الباب وركلته حتى فتح أخيرًا .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يضع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت .. قلت له أن يأتى معى لأن ضيفتنا فى خطر . كنت أعرف أن لديه مسدسًا ..

هكذا جرى معى إلى غرفة (إليصابات) .. قرعت الباب مرة ولم أنتظر ردًا وأمسكت بالمقبض وفتحته .. أضأت النور وألقيت نظرة على الغرفة الفسيحة ..

لا يوجد شيء مريب أو غريب .. هناك جسد نائم فى الفراش .. إنها هى .. دنوت منها وتحسست عنقها فوجدتها نائمة فى عمق ، .. لكنها كانت أكثر شحوبًا والعرق البارد يبلل الوسادة ..

إلى أين ذهب المتسلل ؟ راح (جراهام) يبحث وراء الستائر وفى خزانة الثياب وتحت الفراش .. إن الشرفة مواربة ويسهل للمتسلل أن يغادرها فقط لو صار له جناحان ..

خرجت إلى الشرفة التى يغمرها ضوء القمر ، ونظرت منها .. كان هناك إفريز خارجى يمكن المشى عليه بشيء من الرشاقة .. أعتقد أن هذا كان سبيل المغادرة ولا شك ..

ماذا نفعل بعد هذا ؟ نطلب الشرطة ؟ لا أعتقد .. إن فكرة اللصوص تضايقنى فعلاً .. لكن كيف أثبت أنى لم أكن أتوهم ؟

قلت لـ (جراهام) :

ـ « لا أعتقد أنه من الحكمة تركها .. سوف أمضى الليل معها ما بقى منه .. لن أتصل بخطيبها الآن فلن يستطيع اللحاق بى فى ساعة كهذه .. »

هز رأسه فى وقار وقال بلهجته الأكسفوردية :

ـ « إذن هل تسمح لى آنستى بأن أترك آنستى كى أحظى بساعتين من النوم ؟ »

بدا لى غيابه غير محبب ، لكنى وافقت على كل حال بشرط أن يترك لى المسدس (الذى لا أعرف كيف أطلقه) .. وهكذا أضأت الغرفة وجلست إلى مقعد يستند إلى الجدار بحيث أرى الفراش بوضوح ، وكانت هى نائمة كالأطفال .. . منهكة كما هو واضح .. وتساءلت عما إذا كان قلبها يتحمل المزيد من فقد الدم ..

من الذى تسلل للغرفة ؟ هذا لغز حقيقى .. هل هو (جراهام) نفسه ؟ إن الإفريز يصل إلى شرفة غرفته .. لكن لماذا يفعل ذلك ؟ هل المتسلل لص وشعر بنا ففر ؟

على كل حال لقد اقترب الفجر وصار على أن أنتهى بسرعة .. كان الأمر مرهقًا فى البداية حينما كان علىَّ أن أذهب لبيت صديقتى كل ليلة .. اليوم هى عندى ومتاحة لى فى أى وقت .. نهضت فتناولت منشفة وطوحتها لتدارى عدسة الكاميرا .. ليس هناك شهود لكنى لا أريد أن تظهر هذه اللقطة على الشاشة .. هكذا نهضت إلى الفراش ووضعت ركبتى على الوسادة جوارها ، ودنوت من عنقها وبدأت أتناول وجبتى ..

لن تفهمنى يا (رفعت) .. لقد تغيرت جداً عن الفتاة التى عرفتها .. لكن فلتعلم أن حياة الوحدة وكل هذه الأشباح تحدث الأعاجيب فى نفسية المرء .. دعك من أن هذا هو التعبير الأسمى للصداقة .. إن (أليصابات) تجرى فى عروقى حرفيًا الآن !

لن تستطيع أن تفعل شيئاً لأن أحدًا لن يصدقك .. ولسوف أقسم على أن هذا الخطاب دعابة لا أكثر لو أنك تكلمت .. فقط أردت أن تعرف حقيقة جديدة من حقائق الحياة ، ولتحمد الله على أننى لست بجوارك الآن .. من يدرى ؟ ربما أفعل هذا فى وقت قريب !

تمـــت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٦

ـ ٢٢ ـ

مشيت شارد الذهن مع الفتى فى شوارع الزمالك .. كنت أفكر فى هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدا الأمر أقرب إلى السخف ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

ـ « ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت بأن النار تشب فى أسفلت الطريق .. فجأة تحول إلى قطران سائل مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا أثب إلى الوراء :

« خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قادر على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

« لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران .. لم يبق إلا رائحة الشياط ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

« لكن لا أستطيع أن آمر الأشياء .. لا أستطيع أن آمر النار بأن تنطفئ .. فقط يجب أن يكون كلامى مجازيًا .. مثلاً لو أردت أن تمطر السماء .. »

قلت له بسرعة كى لا يتكلم أكثر :

- « صـه ! لو أردت أن تمطر السماء فأنت لا تأمرها بذلك .. بل تقول شيئًا على غرار : إن المطر غزير .. هذا مفهوم .. مفهوم »

- « نعم .. »

- « وما سر قلقك من هذه الموهبة العجيبة ؟ »

- « أننى صرت أحيا متوترًا .. أخشى أن أقول شيئًا خطأ .. لقد صار لسانى خطرًا كالثعبـ .. . »

وضعت يدى على فمه منذرًا :

- « لا تتكلم يا أحمق ! كنت ستقول : صار لسانى خطرًا كثعبان .. ترى ماذا كان سيحدث ؟! »

اتسعت عيناه فى رعب ، وقال :

- « نعم .. نعم .. نسيت ذلك .. الآن أنت تفهم مشكلتى .. »

فى هذه اللحظة سمعت صراخًا وصوت خطوات ، فنظرت إلى الوراء لأرى ذلك اللص يركض ومن خلفه نحو عشرة رجال من المتحمسين .. فى يده حقيبة وهو رشيق الحركة كما يليق بلص .. واضح انه سيفلت ..

قلت لـ (هن ـ تشو ـ كان) همسًا :

« هل ستبدأ (السارايانا) ؟ أتذكر موقفًا مماثلاً منذ لقائنا الأول .. »

قال باسمًا :

- « لم يعد هناك داع لهذا الآن .. إن هذا اللص ضعيف معدوم اللياقة وسيقع فى أيدى مطارديه »

منبهرًا رأيت اللص يمسك بصدره كأنه يجاهد من أجل التنفس ، ثم يسقط أرضًا وهو يسعل كأنه يبغى إخراج رئتيه .. وسرعان ما أحاط به العشرة ليوسعوه ضربًا ..

إنها طريقة سهلة جدًا .. من السهل بهذه الطريقة أن تسحق الجيوش وتملك الثروات .. إذن لماذا وقف الرهبان خائفين تاركين الصينيين يدنسون ديرهم ؟ يدنسون التبت كله ويطردون (الدلاى لاما) ؟

نقلت له هذا التساؤل فقال شارد الذهن :

- « حقًا لا أعرف .. يخيل لى أن هذه القلادة لا تعمل إلا معى .. من يدرى ؟ ربما كانت تنتظرنى كل هذه السنين .. أعتقد أن الكاهن عرفنى عندما رآنى .. . »

ومرت بنا فتاة حسناء لم ألحظها ، لكنه التفت لها وبدا عليه الارتباك وقال :

- « لا أعرف كيف تسمح فتاة لنفسها بأن تمشى عارية بهذه الطريقة ! »

سمعت الصرخة الأنثوية المذعورة المصدومة من الخلف فاستدرت

مندهشًا ، لكنه جرنى من ذراعى وركض مبتعدًا وقد احمر وجهه .. فقط راح يغمغم وهو يواصل الركض مصححًا ما ارتكبه من خطأ :

- « إنها تلبس ما يكفيها من ثياب! تلبس الكثير جدًا ! »

أخيرًا وقد صرنا فى مكان بعيد آمن ، طلبت كوبين من العصير ، وقلت له إننى افهم جيدًا مشكلته لكنى لا أراها مستحيلة الحل ..

- « فقط سوف تقول إن القلادة ستعود لصاحبها الأصلى .. أعتقد أن هذا ينهى كل شىء . »

- « ربما كان صاحبها الأصلى شريرًا .. »

- « إذن قل إن القلادة ستعود لرهبان الدير الذى تعرف أنت اسمه .. »

رشف رشفة من العصير وقال إن له مذاق عصير الشعير المختمر .. طبعًا لم أجسر على لمس كوبى فقد صارت رائحته لعينة ومنظره ألعن ..

مد يده فى جيبه وأخرج القلادة ووضعها على المنضدة .. ثم قال :

« كالعادة أنت مفيد لى يا (ريفالت) . لو أردنا الدقة لجعلناك تمث..»

صحت فى هلع :

« أرجوك لا تذكرنى بخير أو بشر .. لا تقل إننى أصلح تمثالاً من فضلك لأن حياة التماثيل ستكون مملة جدًا .. فقط انته من هذه القلادة سريعًا .. »

رشف رشفة أخرى من العصير وقال :

« بالفعل هى خطرة .. منذ وجدتها وأنا عاجز عن فتح فمى .. »

لم أفطن إلى الكارثة إلا متأخرًا جدًا .. فقط عندما سمعت الـ (مممممم !) فطنت لمعنى العبارة .. ورفعت عينى لأجده محتقن الوجه والعصير يسيل من ركنى فمه ، ويبدو أنه يبذل جهدًا حقيقيًا كى يفتح فكه ..

إنها كارثة حقيقية .. الطريقة الوحيدة للخلاص من هذه التعويذة هى أن يتكلم .. وكيف يتكلم وقد أغلق فمه للأبد ؟

مددت يدى أساعده على النهوض .. لابد أن أحد أصدقائى من جراحى الفم والأسنان قادر على حل هذه المشكلة وإلا نحن فى ورطة حقيقية ..

ورطة تعجز عن وصفها الكلمات !

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٧

-٢٣-

قلت لها فى غيظ :

- « لا تحدثينى عن (ساوين) هذا من فضلك .. إله وثنى كان الكلت يعبدونه .. لا أبنى أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »

كان وهج اللهب فى المدفأة يترقرق على وجهها وهى تقول :

- « لا أعنى (ساوين) ذاته .. أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير شرير ما .. يبدو أنها مهمة فى العقائد الدرويدية »

- « تأثير شرير مثل ماذا ؟ »

- « مثل هذا .. . »

قالتها وهى تنظر إلى الجدران .. بالفعل كانت القاعة ترتج .. وسمعنا صوتًا غير آدمى يصيح من الخارج .. أعتقد أنها كانت عدة أصوات كأن هناك مظاهرة صاخبة حول القلعة ..

نظرت لها فى حيرة فقالت :

- « فى هذه الليلة يحاول الموتى أن يحتلوا أجساد الأحياء .. هل نسيت ؟ »

- « كنا نتحدث عن ليلة الهالوين .. ليلة ٣١ أكتوبر .. ليست هذه الليلة على كل حال .. »

- « أعتقد أن التعويذة هى نداء لشىء مماثل .. »

قلت مغتاظًا :

- « الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. كفى عن هذا .. »

نهضت مسرعة وصعدت الدرج فى ضوء الشمعة .. ثم فتحت نافذة صغيرة هناك وألقت نظرة إلى الخارج .. ثم هتفت :

- « (رفعت) .. تعال وألق نظرة .. »

هرعت ألحق بها ونظرت من تلك النافذة الشبيهة بكوة تطل على الخارج .. إنها ترتفع أربعة أمتار عن الأرض وتطل على مدخل القلعة ..

ما رأيته كان غير بشرى .. هذا مشهد من كابوس لا شك فيه ..

الظلام يعم الفناء لكنك ترى تلك الأجساد المشوهة التى تتحرك كالعميان ، وعددها لا يقل عن عشرة .. إنهم يتزاحمون ويتخبطون ويحاول أحدهم أن يدق الباب .. بالواقع يحاول أن يقتحمه ..

ما هذا الذى يجرى ؟

- « إنهم لا يبدون أحياء ! »

أجفلنا لدى سماع هذا الصوت ، ثم أدركنا أنه (جراهام) رئيس الخدم الذى جاء يركض من الطابق العلوى وفى يده بندقية .. قال وهو يقف وراء الباب :

- « سمعت الضوضاء من أعلى .. ونظرت من النافذة فوجدت هذا المشهد الذى لا يوصف إلا بالغرابة .. أعتقد أن سيدتى الصغيرة سوف تسمح لى بأن أقترح أن نتصل بالشرطة .. »

هزت رأسها مذعورة ..

قال الرجل وهو يختلس النظر عبر نافذة شفافة فى أعلى الباب :

ـ « من هؤلاء ؟ من أين جاءوا ؟ »

قلت فى حيرة :

ـ « وكيف جاءوا بهذه السرعة ؟ »

قالت (ماجى) :

ـ « لأن أحدهم قرأ الكلمات المكتوبة على تعويذة كلتية قديمة .. هل نسيت ؟ »

ثم التفتت إلى (جراهام) وقالت بلهجة آمرة :

ـ « (جراهام)... أرجو أن تطفئ المدفأة وكل الشموع .. »

ـ « سيدتى ؟ »

ـ « افعل ما أقول لك .. سوف نلتزم بالأسطورة حرفيًا .. يجب أن تكون القلعة مظلمة باردة .. بعد هذا سوف نفر من هنا ونشعل نارًا فى الخلاء .. هات سائل إشعال الموقد وثقابًا وقدنا إلى مخرج القلعة الذى يقود للبحيرة »

ظللت صامتًا وإن عرفت بسهولة من صار القائد هنا .. لقد أخرسنى عدم الفهم وأخرسنى الذعر ، أما هى فكانت واثقة هادئة الجنان .. صفات القائد بلا جدال ..

كان الظلام دامسًا الآن لا نهتدى إلا بضوء الكشاف ، بينما نحن نهرع إلى ممر قديم فى القلعة .. ممر من تلك الممرات التى تصطف دروع فرسان العصور الوسطى على جانبيها .. كان (جراهام) يتقدمنا بصفته أعلمنا بهذه القلعة .. إنه قضى فيها وقتًا أكثر من مالكها نفسه ..

أخيرًا كان هناك باب خشبى موصد ، فعالجه (جراهام) حتى انفتح وهرعنا إلى الخارج لنرى مشهدًا ساحرًا لبحيرة (لوخ نس) تترقرق فى ضوء القمر .. إذن نحن درنا حول القلعة ..

قالت (ماجى) وهى تشير لرقعة من الأرض :

ـ « سوف نشعل النار هنا .. »

أشعلنا نارًا لا بأس بها مستعينين بأغصان الأشجار وسائل إشعال الموقد ..

دعنى أخبرك أن التأثير لم يكن محببًا .. أحيانًا لا تجلب النار الدفء والسعادة كما نتخيل .. فقط جلبت لنا الوحشة ... لكننا كنا معًا على الأقل ..

ظللنا صامتين وفجأة هتفت (ماجى) :

ـ « أبى ! »

نعم .. نسينا هذا الجزء .. لو عاد الرجل الآن فماذا سيجد ؟ لا أكره شيئًا قدر البراءة فى غير موضعها .. سوف يعود لداره بريئًا لا يفهم ما ينتظره ..

وجاء دور (جراهام) ليهتف :

ـ « كان يجب على سيدتى الصغيرة أن تتخلص من التعويذة لو كان لى أن أقول هذا .. إنهم قادمون ! »

التفتت إلى الوراء فى ذعر فرأيت تلك المسوخ قادمة نحونا عبر شاطئ البحيرة .. ببطء لكن بثقة .. نفس المشية المترنحة التى يمشى بها الزومبى فى أفلام (فولتشى) ونفس المنظر المريع ..

رفع (جراهام) بندقيته لكن (ماجى) هتفت آمرة :

ـ « لا تفعل .. يجب أن نعرف ما يريدون .. لن يؤذونا ما دمنا لسنا فى بيوتنا»

كانوا يقتربون .. يقتربون .. حتى صار أقربهم على بعد ستة أمتار .. الآن هو واضح المعالم فى ضوء اللهب المتراقص ...

هناك شىء غير معقول هنا .. شىء لا أبتلعه جيدًا .. إن هذا الوجه ..

هنا رأيتهم جميعًا ينزعون الأقنعة المخيفة ويرددون بصوت عال :

ـ « عيد ميلاد سعيد ! »

هذا (مكجريجور) وهذا (ماكبى) .. هذه (ليزا) وهذا (أرشيبالد) .. إنه مقلب .. لكن من رتبه لى ؟

ـ « عيد ميلاد سعيد يا (رفعت) ! »

كانت (ماجى) تضحك حتى سال الدمع من عينيها ، وقالت :

ـ « لا تنكر أنك صدقت هذا كله .. »

قلت لها فى ذهول :

ـ « والتعويذة ؟ »

ـ « إنها عندى من زمن .. فقط دسستها فى المجلد وألصقت ورقة عليها .. أعتقد أنك لم تجرب عيد ميلاد مماثلاً من قبل .. إن (جراهام) يمقت المزاح لكنه قبل مجاملة لى ، وطبعًا هو من قطع التيار الكهربائى .. »

كانت ليلة لا تنسى .. بالذات عندما انتهت السهرة وعدنا للقلعة لنكتشف أن الباب الرئيس مفتوح . وأن هناك من عبث بكل ركن من قاعة الجلوس ... هناك من صعد الدرج وهناك من دخل غرفة أو غرفتين وجعل رائحتهما لا تطاق .. هؤلاء الشباب مذعورون حقًا ويقسمون على أنهم لم يدخلوا القلعة قط وأن الدعابة تنتهى بهذا اللقاء على ضفة البحيرة ، لكنى لم أعد مستعدًا لتقبل الطبقة الثانية من هذه الدعابة .. من يُخدع مرة فعار على من خدعه .. من يُخدع مرتين فعار عليه هو ..

ألا ترى هذا معى ؟

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٦

- ٢٤ -

وصلت إلى الشقة فى وقت قصير نسبيًا ، فانا أسكن قريبًا من هذا العنوان .. وكانت لدى خطة طموح هى أن نترك فنان الأعمال المركبة الفقيد حيث هو ، ونمضى الليل عندى وفى الصباح نتخذ ما نجده ضروريًا من إجراءات ..

فتح (عزت) الباب لى وكان تأثير ما يحدث واضحًا على وجهه .. كان الأستاذ (أنيس) جالسًا تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك قرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دغل فى شقة وقرد وجثة نصف جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان .. النبض .. ضغط الدم .. مرآة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك فى هذا ..

كان (عزت) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذه ! »

قلت فى ضيق :

- « ميتًا أو حيًا .. إن حالة عظامه لا تسمح بالسير ، ولا أعتقد أن الموت شفاه من ثانويات العظام»

ثم إننى عرضت عليه الرحيل فوافق على الفور .. سوف نضع الفقيد فى فراشه ثم ننصرف .. والصباح رباح كما يقولون ..

حتى هذه اللحظة كنت متأكدًا من أنه واهم .. فى البدء اعتقدت أنه واهم بصدد الوفاة ، أما الآن فأحسبه واهمًا بصدد الحركة ..

هكذا حملنا الأستاذ (أنيس) إلى الفراش العجيب الذى يبدو كأنه فراش موت (ليفنجستون) جوار منابع النيل ، وهو الذى وجدناه فيه أول مرة ، ثم إننى اتجهت إلى الصالة بينما قام (عزت) بتغطية وجه أبيه الروحى وعاد لى ..

كان يرتجف من التوتر ومن البرد ومن شبه صدمة عصبية ..

سألته :

- « هل لديك خطط لصباح الغد ؟ »

ثم تذكرت الوقت فقلت مصححًا :

- « بل صباح اليوم »

- « إن له ابنًا عاقًا .. لابد من إبلاغه لأن وضعه سيكون طبيعيًا أكثر منى .. لن أستطيع عمل شيء وحدى ما لم أتصل بالشرطة .. »

بحثت فى جيبى فلم أجد مفاتيح السيارة .. أنا متأكد من أننى جئت بها .. هذا واضح .. وإلا لما استطعت قيادة السيارة لهنا .. هذه الاستنتاجات المنطقية هى ما يميز الأذكياء ..

بحثت فى كل مكان فلم أجد .. بقى موضع واحد هو تلك الخيمة فى الدغل حيث يرقد الفنان الفقيد ، وهكذا عدت إلى تلك الغرفة الكئيبة ..

بحثت فى الأرض التى يكسوها عشب صناعى وصخور مطلية بالزيت عن المفاتيح .. بالفعل وجدتها هناك .. فجأة رفعت عينى لأجد الفقيد يجلس تحت شجرة من تلك الأشجار الصناعية .. نفس الوضع السابق وعيناه مغمضتان .. لكنه يستند إلى الجذع ..

لقد تحرك فعلاً !

أطلقت صيحة برغمى فهرع (عزت) إلى .. رأى المشهد فتهاوت قدماه من تحته .. لقد فقد الوعى ..

إن هذا أكثر مما يتحمله بنيانه الواهن ..

خرجت إلى الصالة حيث تركت حقيبتى فانتقيت محقنًا جميل الشكل مع أمبول من الكورتيزون .. . هذه الحقنة قد تنقذ حياة الفتى المصاب بنقص مزمن فى هذا الهرمون السحرى ..

ملأت المحقن وعدت إلى قطاع الأدغال .. لقد بدأت أمقت هذه الشقة التى بهرتنى فى البداية .. إنها متاهة لا يمكن تصور وجودها لدى شخص عاقل .. لا يمكنك العودة إلى نفس المكان بسهولة ، ولو كنت أنا مالك هذا البيت للبيت نداء الطبيعة تحت هذه الأشجار الصناعية ، لأننى لن أجد أبدًا الحمام وسط هذه التعقيدات ..

لكن ما إن دخلت قطاع الأدغال حيث فراش الفقيد ، حتى فوجئت بمشهد لا يصدق ..

كان (عزت) مغمض العينين لكنه يمشى على قدميه ، وبين ذراعيه

كان يحمل جثة العجوز الملتحى فى رفق واضح كأنه يحمل رضيعًا ..

رأيته يخرج من قطاع الأدغال فيتجه إلى قطاع الفضاء ، ليريح جثة أستاذه على فوهة بركانية من فوهات القمر .. ثم يصلح من وضع رأسه ليبدو كالجالس ، ويعود بذات الخطوات المترددة التى تميز الماشين نيامًا إلى القطاع الذى كان فيه ..

الآن فهمت !

هذا المسكين لم يتحمل فكرة فقد الرجل الذى كان يحبه كل هذا الحب ، لذا تصرف عقله الباطن على مسئوليته الخاصة .. فى كل مرة يدخل فى شبه نعاس من ثم يمشى أثناء نومه ، ويحمل الجثة خفيفة الوزن ليضعها فى مكان تبدو فيه حية .. ثم يفيق فيصيبه الذعر لأنه نسى كل شىء عن هذه العملية .

قرأت ذات مرة قصة حقيقية عن صديقين احتجزتهما العاصفة فى كوخ فى ألاسكا ، ومات أحدهما بينما ظل الآخر حيًا .. وفى كل صباح ينهض من نومه ليجد جثة صاحبه جالسة إلى المائدة ! فيما بعد اتضح أنه كان يحمله من السرير حملاً ويضعه على المنضدة ؛ لأنه لم يتخيل فكرة موته ولا فكرة البقاء وحيدًا ..

لقد تحرك الأستاذ (أنيس) فعلاً ، لكن بيد تلميذه المخلص الذى لا يعرف أنه فعل هذا ..

قمت بحقن (عزت) ففتح عينه .. وكان أول ما بحث عنه هو الجثة .. وهتف :

- « لقد تحركت ثانية ! »

قلت فى صبر وأنا أضع قطعة قطن على موضع الحقن :

- « تحركت للمرة الأخيرة ، لكنى أعدك أنها لن تكرر هذا ثانية .. فقط لنعد الآن لبيتنا وغدًا يوم آخر .. »

ثم نظرت لساعتى وقلت مصححًا :

- « أعنى أن اليوم يوم آخر ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣١

-٢٥-

« النلفاراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقى حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من (لهاسا) .. »

★ ★ ★

كما حكى لى (هن تشو كان) فيما بعد كنت أتصرف بغباء غريب ..

اتصلت به عدة مرات كى يزورنى ثم قررت أن أزوره فلم أجده .. الحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس فى البيت ..

كانت الفكرة تؤرقه .. الرجل الذى استضافه هو أنا ..استضفته يوم جاء إلى مصر مذعورًا يتظاهر بالخرس .. . وأنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

لقد ظهر اللاما فى (لهاسا) .. سواء كان هذا حقيقيًا أم لا فلا شك أن البوذيين يعتقدون هذا .. إذن هو موعد تحقق النبوءة ..

كان غارقًا فى هذه الأفكار وهو يمشى فى الشارع عندما رفع رأسه ليجدنى أمامه ..

صحت فى مرح :

- « هأنتذا ! من العسير أن أصدق أنك فى مصر منذ شهر ولما نلتق ! »

حيانى فى ارتباك بعربيته المميزة وقال :

- « كنت مشغولاً يا (ريفات) .. »

فى النهاية اضطر إلى أن يحكى لى كل شىء .. سمعت القصة فى دهشة لكنى على كلٍّ اعتدت سخف العرافين .. ما هى الظروف التى قد تدفعه لقتلى ؟

ثم إننى لست رجل البحر على كل حال ..

اصطحبته معى إلى البيت وأعددت لنا غداء مقززًا .. أى أنه سيروق له ..

بعد الغداء دخلت لأغسل الأطباق كدأبى .. سددت الحوض وبدأت أملؤه بالماء .. فجأة شعرت بذلك الألم الماحق الضاغط على صدرى .. أنا لست طفلاً .. لقد جربت النوبات القلبية ألف مرة .. هذه نوبة لا شك فيها ..

لكنها قوية بالفعل هذه المرة ..

سقطت على ركبتى .. العرق يغمر جبينى .. صحت بصوت يختنق :

ـ « (هن ـ تشو .. ! »

ليت له اسم أقصر من هذا !

جاءنى مسرعًا بخفته المعهودة وأصابه الهلع عندما رآنى جاثيًا على ركبتى جوار الحوض وسط الماء الذى يتدفق منه بلا انقطاع ..

ـ « هناك عـ .. عـ .. علبة أقراص فى الكومود جوار فراشى .. بـ .. بسرعة ! »

بنفس خفة القط وثب خارجًا .. وفى لحظات وجدته يسند رأسى ويفتح العلبة ثم يدس قرصًا تحت لسانى ..

حجم القرص غير مريح .. مذاقه ليس هو .. مددت يدى وتفحصت العلبة .. هذا دواء للربو يحتوى مادة (الإفدرين) .. محاكيات الجهاز السمبثاوى .. ألعن مادة يمكن أن تعطيها لشخص مصاب بنوبة قلبية .. إنها الطريق الملكى لقتله ..

أما لماذا هى عندى فسل عن هذا أى طبيب .. إن لديه خزينًا من أدوية السكرى والسرطان وأدوية ترفع ضغط الدم وأدوية تخفضه .. إنها عينات شركات الأدوية التى يحتفظ بها حتى ينسى كنهها ..

بصقت الحبة وقلت بصوت مبحوح :

ـ « الدرج .. الدرج الأيمن يا أحمـ .. أحمق .. »

لم ينتظر ليفهم وسرعان ما توارى . وعاد بعد قليل بالعلبة المختارة ..

احتجت ربع ساعة وقرصين حتى استطعت أن أنهض على قدمى ..

أغلق صنبور الماء ، وقال لى فى حماس آسيوى كأنه سيضحى بروحه من أجل التبت :

ـ « ريفاات .. سأغسل أنا الأطباق .. »

ـ « هذا كرم منك ... »

وذهبت إلى الصالة مترنحًا .. فقط لم أنس أن أقول له قبل أن أرحل :

ـ « لا أحب أن أرى نبوءة تتحقق .. لكن محارب النافاراى كاد يقتل مضيفه فعلاً .. رجل البحر الأسمر كاد يموت بقرص من الإفدرين .. »

تفكر قليلاً فيما قلت وبدا أن هذا الحل يرضيه .. سألني :

ـ « لكن ما هو البحر هنا ؟ »

أشرت إلى ثيابى التى أغرقها الماء الذى ملأ الحوض، وقلت :

ـ « هل يوجد بحر أكثر من هذا ؟ فقط اللاما العظيم لم يفرق بين البحر والنهر وماء الصنبور .. إن مئات السنين تغفر له قلة الدقة هذه ! »

تمت

-٢٦-

قلت لها فى غيظ :

- « لا تحدثينى عن (ساوين) هذا من فضلك .. إله وثنى كان الكلت يعبدونه .. لا أبنى أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »

كان وهج اللهب فى المدفأة يترقرق على وجهها وهى تقول :

- « لا أعنى (ساوين) ذاته .. أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير شرير ما .. يبدو أنها مهمة فى العقائد الدرويدية »

ثم نظرت فى ساعتى وقلت إن وقت الانصراف قد حان .. شكرًا على أنها تذكرت عيد ميلادى .

- « ألن تنتظر حتى يعود التيار الكهربي؟ »

- « فى بلدى ننتظر كثيرًا جدًا جدًا .. أفضل أن أرحل الآن .. »

ناولتنى الكتاب وتلك التعويذة التى وجدتها فيه ، وقالت إننا سنلتقى يوم الاثنين فى الجامعة ؛ لذا يمكن أن نذهب معًا لرئيس دائرة التاريخ لاستشارته ..

خرجت مغادرًا القلعة وأنا أصفر .. نظرت إلى الخلف فرأيت أنها مظلمة بالكامل .. بينما أضواء البلدة من بعيد موجودة .. حقًا هناك شىء غريب ..

مشيت مصفرًا لحنًا مصريًا وأنا أفكر فى برنامج الغد ..

هنا خيل لى إننى أسمع خطوات من خلفى .. توقفت واستدرت فلم أر أحدًا ..

واصلت المشى فعادت الخطوات !

أعرف هذه الألعاب .. هناك من يتبعنى .. يمشى حينما أمشى ويتوقف عندما أتوقف .. لكن أين يتوارى ؟ الجواب سهل لأننى أمشى جوار تلك الغابة التى تقود إلى البلدة ..هناك ألف شجرة تصلح لأداء هذا الدور ..

ظللت واقفًا بعض الوقت ثم هممت بالانصراف عندما رأيت ذلك الكائن قادمًا من بعيد ..

لماذا اعتبرته كائنًا ؟ السلويت المميز له لم يكن يوحى بكائن بشرى .. كان يمشى على قدمين وله ذراع ورأس لكنه لم يبد لى بشريًا .. وقد أصابنى مرآه بالهلع فمشيت مسرعًا وأنا أخشى أن أنظر للخلف .. لا أريد أن أرى تفاصيل أكثر منه ..

إنه يمشى ورائى .. ثم توقفت خطواته ..

التفت للخلف من جديد فوجدت أنه سقط على ركبتيه وأنه يلوح بذراعيه كأنه يعانى ألمًا مروعًا .. ثم نهض من جديد وواصل المسير فواصلت فرارى ..

من هذا ؟ ماذا يريد ؟ الأمر يتعلق حتمًا بتلك التعويذة اللعينة ..

جاءت اللحظة التى فقدت فيها التحكم فى أعصابى فرحت أجرى ..

فقط نظرت للخلف مرة واحدة فوجدت أنه يركض خلفى !

كنت عالى اللياقة فى تلك الأيام (نسبيًا) لهذا ظللت أركض .. فقط كان التوتر الشديد من العوامل التى جعلتنى فى حالة أسوأ .. كل هذا الأدرينالين فى عروقى لا يمكن أن يرحم قلبى ..

البلدة من بعيد بأضوائها .. صارت كأنها أرض الميعاد ... الحلم الذى نموت على أبوابه ..

كنت الآن أركض بمحاذاة بحيرة صغيرة .. وخطر لى أن هذا الشىء لا يلاحقنى أنا .. إنه يلاحق التعويذة اللعينة .. إذن فلماذا لا أتخلص منها الآن ..؟

أخرجتها من جيبى وطوحت بها فى البحيرة لأسمع صوت (سبلاش) .. ورحت أركض .. . نظرت للخلف فوجدت هذا الشىء قد كف عن ملاحقتى وإذا به يتجه إلى البحيرة .. ومن جديد سمعت صوت (سبلاش) أعلى ..

تنفست الصعداء .. على ألا أكف عن الركض لأنى لا أعرف متى يستردها ويعود لى !

البلدة ! البلدة !



قابلت (ماجى) يوم الاثنين فى الجامعة فقلت لها إننى فقدت التعويذة ..

غضبت منى جدًا .. . لو كان الإنسان يهمل فى أشياء مهمة كهذه فماذا يفعل فى أشياء أقل ؟ هذه التعويذة تمثل أثرًا من آثار الكلت النادرة .. كان بوسع شىء كهذا أن يضمن لنا موضعًا فى كتب التاريخ وكتب الآثار معًا ..

ـ « والكتاب ؟ »

ـ « بخير .. قرأت فيه أمس ووجدته شديد الإمتاع .. »

قالت وهى تحاول أن تتخلى عن مزاجها العصبي :

ـ «على كل حال لم تكن ليلة سارة .. لقد ظل التيار الكهربى مقطوعًا حتى الصباح .. دعك من الجثة التى وجدوها فى البحيرة .. »

ـ « أية جثة ؟ »

ـ « جثة متحللة وجدوها طافية على الماء .. الغريب أن حالتها كما يقول رجال الشرطة تدل على أنها جثة قديمة نخرة .. هناك مجنون ما أخرجها من المقابر وألقى بها فى البحيرة قرب مدخل البلدة .. لماذا فعل ذلك ؟ وكيف حملها ؟ لا أحد يعرف .. لقد كانت ليلة جديرة بأن تكون عيد ميلادك .. فعلاً هى جديرة بعيد ميلادك ! »

تمت

ـ ٢٧ ـ

مشيت مع الفتى شارد الذهن فى شوارع الزمالك .. كنت أفكر فى هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدا الأمر أقرب إلى السخف .. وفى جيبى كنت أعتصر تلك القلادة الغريبة بعد ما طلبت منه أن أراها ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

ـ « ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت بأن النار تشب فى أسفلت الطريق .. فجأة تحول إلى قطران سائل مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا أثب إلى الوراء :

ـ « خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قادر على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

ـ « لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران .. لم يبق إلا رائحة الشياط ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

ـ « لكن لا أستطيع أن آمر الأشياء .. لا أستطيع أن آمر النار بأن تنطفئ .. فقط يجب أن يكون كلامى مجازيًا ..»

قلت له باسمًا :

ـ « الأمر على كل حال هين .. يكفى أن تقول شيئًا على غرار : هذه القلادة ملك صاحبها الأصلى .. أو : أنا لا أعانى تأثير تعويذة ما .. »

نظر لى فى ذهول كأنه يقول : بهذه البساطة ؟ إن السذاجة كانت دومًا جزءًا من تكوينه .. أحيانًا أشعر أنه مجرد طفل كبير .. طفل له خفة القط .. .

قال فى ضيق :

ـ « أحيانًا أتمنى لو أن هذه القلادة سرقت منى ! »

فى هذه اللحظة وجدنا أننا وسط مشادة غوغائية بين أربعة أشخاص .. اثنان يتهمان اثنين بشىء ما ، والآخران يصران على أنهما كذابان .. . صفعات وسباب وركلات كدنا ننال بعضها .. تدخل الكاهن الأخير برشاقة وبسرعة البرق ليفصل بين هؤلاء ، ثم نزع النظارة ونظر لهم فى حزم تلك النظرة التى تجمد الدم فى العروق .. لسبب ما جعلتهم نظرته يتراجعون ثم يتفرقون .. .

قال لى وهو يعيد النظارة إلى أنفه :

ـ « إن أعصابكم مشتعلة كالنار فى هذا البلد ! »

وابتعدنا فى خطوات سريعة ..

وفى إحدى الكافيتيريات جلسنا .. طلبت كوبين من العصير ، فشرب جرعة من عصيره ، وقال :

- « إن له مذاق الشاى بالزبد ! »

نظرت له مشمئزًا .. طبعًا لو لم تؤثر كلماته فى خواص العصير فلا شك أن التشبيه نفسه مؤذ .. ذات مرة تذوقت هذا المشروب اللعين (الشاى بالزبد) وظللت مريضًا لمدة شهر ..

مد يده لى وقال :

- « أريد القلادة .. »

مددت بدورى يدى فى جيبى وبحثت .. ما هذا ؟

أخرجت كل محتويات الجيب وسكبتها على المنضدة .. لا شىء ..

تبادلنا النظرات .. وقلت وأنا أضرب المنضدة بقبضتي :

- « عندما وصفت أنت أعصابنا بأنها مشتعلة كالنار لم يحدث شىء . لم تكن القلادة معنا لحظتها كما هو واضح .. هؤلاء المتشاجرون كانوا يمثلون .. هذه حيلة قديمة جدًا للنشل .. لابد أن أحدهم دس يده فى جيبى وانتزع القلادة .. »

وثب بسرعة البرق إلى خارج الكافتيريا .. ورأيته يجرى كالمجنون نحو المكان الذى حدث فيه الصدام ..

طبعًا من المستحيل أن يجدهم لأن هذا حدث منذ ربع ساعة .. وقت يكفى لأن يبيعوا المسروقات ويفروا إلى (أكابولكو) للاستمتاع بما سرقوه ..

عندما عاد كانت خيبة الأمل بادية عليه .. وكالعادة لم يكن يلهث على الإطلاق ..

قلت له:

- « لا تحزن .. أعتقد أن هذه القلادة لا تعمل إلا مع أناس بعينهم .. لاحظ أنها كانت لدى رهبان التبت فلماذا لم تساعدهم على سحق الصينيين ؟ يبدو لى أنك كنت المختار الذى جاء ليرث هذه القلادة ، ولن يجد فيها هؤلاء اللصوص إلا قطعة صفيح .. »

قال فى ضيق :

- « أتمنى هذا .. لكن تذكر ما كتب عليها : (مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات) .. معنى هذا أن هناك من يمكن أن تؤدى عملها معه سواى .. »

فجأة نظر لى بذهول وقال :

- « (رفعت) .. . إن ثيابك أنيقة .. هل هذه ذات الثياب التى جئنا بها ؟ »

نظرت إلى سترتى فأصابنى الذهول .. قماش فاخر .. ساعة ثمينة .. ربطة عنق أحتاج لعام كى أدخر ثمنها .. كأن جنية (سندريلا) لمستنى بالعصا السحرية .. . مددت يدى أتحسس رأسى فشعرت بشىء غريب .. . انتزعت تلك القلنسوة فوجدت أنها طرطور !

فجأة بدأت السماء تكفهر .. صار الجو أسود بالخارج ورأيت بعض رواد الكافتيريا يفتحون الباب ليلقوا على السماء نظرة أوضح ، متسائلين عن هذا التغير المفاجئ فى الجو الذى كان حارًا ..

نظر لى (هن ـ تشو ـ كان) متسائلاً ، فقلت فى هدوء :

ـ « إنها تعمل .. لقد استجابت لكلمات أحدهم .. يمكننى أن أتخيل ما يقال الآن .. أحد اللصوص فحص قطعة الصفيح هذه وأطلق سبة .. لابد أنه قال: هذا الأراجوز الأصلع الذى سرقناه كان يبدو ثريًا ! النتيجة تراها الآن .. صرت أبدو ثريًا فعلاً لكن على رأسى طرطورًا لأنى أراجوز ! لابد أنه قال بعدها متذمرًا : هذا يوم أسود من بدايته ! »

هذا وضع يعد بأشياء مبهجة لا حصر لها .. نحن الآن تحت رحمة لسان لص .. . ربما يتمنى لى أن أحترق حيًا .. ربما يتمنى للمدينة أن تزول .. ربما .. ربما ..

كل شىء جائز .. كل شىء ممكن ..

قلت لـ (عزت) :

ـ « أقترح أن نذهب لقسم الشرطة حالاً محاولين مساعدتهم فى اعتقال هؤلاء الأربعة .. لا يوجد حل آخر .. إنها محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ! »

تمت

ـ ٢٨ ـ

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد انزلق (عزت) معدوم الحيلة إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل .. فقط لتنزلق أكثر .. واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف (يكارك) على الأرضية المبتلة كما ينصح أى ميكانيكى يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد (عزت) نفسه على بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيرًا .. انفتح الباب لتثب منه امرأة ..

ـ « هل أنت بخير ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ما لم يقله هو أن السيارة مزقت جهازه العصبى ، وداست على ثباته ، وبترت رباطة جأشه .. كلها إصابات خطرة فعلاً .. إن معنوياته تنزف بغزارة ..

ساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسن خاصة وهو يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء ..

قالت له وهى تفتح باب السيارة الأيمن :

ـ « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت .. »

ـ « لا .. لا داعى ..»

كان عقله يعمل بسرعة .. هذه آخر ليلة يتمنى فيها أن يقابل فتاة

حسنة فقد أورثته تلك اللوحة شكوكًا لا بأس بها .. هكذا نهض بسرعة ولم يقل أية كلمة للفتاة وعاد إلى الجاليرى ..

راح يبحث من جديد عن القاعة الصغيرة المتوارية التى دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد بابًا موصدًا عليه رمز بصرى يوحى بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مغلق ..

لقد تلاشى معرض (عفت الشرشابى) تمامًا كأنه كان هلوسة .. ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقة ..

عاد إلى القاعة الرئيسة فاتجه إلى الفتاة الجالسة أمام الدفتر وسألها :

ـ « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان (عفت الشرشابى) .. أين هى ؟ »

هزت رأسها وقالت :

ـ « لا أعرفه .. »

ثم تذكرت حينًا وقالت :

ـ « هناك من يحمل هذا الاسم لكنه مات .. »

ـ « مات ؟ »

ـ « قدم معرضًا هنا منذ علم ولم يلق أى استحسان ، لذا قتل نفسه .. »

ابتلع (عزت) ريقه .. لقد سمع عن أشباح كثيرة لكنه لم يسمع قط عن شبح معرض ..

لكن لهذا مغزى خطيرًا .. هذا الشبح / الكيان الذى تحدث إليه يتكلم من عالم لا نعرف عنه أى شىء .. بعبارة أخرى هو دقيق وكلماته صادقة على الأرجح ..

لقد تحققت ثلاث لوحات فماذا عن الباقى ؟

كانت الفتاة تحك وجهها بطريقة غير مريحة .. بدت وكأنها تحاول أن تمزقه إلى نصفين .. لهذا شعر (عزت) بعدم راحة .. إلى أين يذهب ؟ هل هنا نجاته أم أن نجاته فى الخارج ؟

قرر أن يغادر المعرض .. مشى فى الشوارع الرطبة وكان المطر قد بدأ يقل ..

البخار يتصاعد من أنفاسه وهو يجد السير باحثًا عن سيارة أجرة .. فى النهاية وجد واحدة فألقى بنفسه فى المقعد الخلفى بعد ما تحقق من وجه السائق جيدًا .. لا توجد حسناوات إذن كل شىء تمام ..

كان موشكًا على أن ينعس تمامًا عندما سمع السائق يردد :

ـ « الناس لم يعد عندها ضمير . »

العبارة المأثورة لدى أى سائق تاكسى .. بعد هذا تبدأ قصة عن الراكب الذى لم يدفع أو شرطى المرور الذى كان يريد بقشيشًا أو ..

عاد السائق يقول :

ـ « الناس لم يعد عندها ضمير .. هل تصدق ذلك يا أستاذ ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « مثلاً هناك من يعلق لوحات تحمل نبوءة ما لكنه لا يعلقها بالترتيب الصحيح ..أحياناً يخفى لوحة أو اثنتين لغرض خبيث فى نفسه .. ! »

هنا هب (عزت) وقد تلاشى أى نعاس من عينيه بينما السائق يقول :

ـ « مثلاً .. هناك لوحة شنيعة تظهر ما يحدث للرجل الأسمر النحيل عندما يركب سيارة التاكسى ! لماذا لم يعلقوها فى المعرض ؟ لأنه لم يعد هناك ضمير لدى الناس !! »

كان هذا مطباً وعراً ، لذا أبطأت السيارة قليلاً ..

وعلى الفور فتح (عزت) الباب وتدحرج على الأرض المبتلة عدة مرات ..

نهض من دون أن يتساءل عن إصاباته وراح يركض هارباً ..

أعتقد أنه ما زال يركض حتى هذه اللحظة ..

تمت

ـ٢٩ـ

رحت أدق باب (عزت) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكنى قررت اللجوء إلى حل قلما ألجأ إليه .. لقد تبادلت مفتاح باب شقتى مع (عزت) منذ زمن ، لكننا أقسمنا على ألا نستعمله إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته فى القفل ودخلت .. هذه المرة أغلقته ورائى ..

كانت الشقة هادئة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعى بعد ما أصابه من رعب ، لكنى اندفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

لكنى وجدت مشهداً مريعاً ..

كنت عند الباب فرأيت التمثالين واقفين وظهرهما لى .. تمثال مصاص الدماء والفتاة .. أما (عزت) فكان أمامهما جاثياً على ركبتيه .. وسمعته يقول :

ـ « سيدى (يوليان) .. . لقد أنهيت مهمتى وعدتم للعالم .. أعتذر عما أصابنى من ذعر عندما تحرك سيدى (يانوت) .. الآن عرفت أن الموعد قد جاء .. إنه الآن فى شقة جارى يبدأ مهمته .. »

فهمت !

إن من يصنع هذا التمثال العجيب لابد أن يثير الشكوك .. الأمر يوحى بالاستحواذ .. . كان على أن أفكر فى الأمر .. فى البدء لم يكن

يعرف ما يقوم به .. حتى إنه طلب عونى .. ثم أدرك الحقيقة وعرف أنه خادم هؤلاء ..

لكن من هم هؤلاء ؟ .

أسمع صوت الدقات على باب الشقة ..

الأخ الذى كان فى شقتى قد عاد خالى الوفاض ..

هكذا تواريت فى المطبخ .. بينما سمعت (عزت) يفتح الباب .. وسمعته يقول :

ـ « هل فرغت يا سيدى (يانوت) ؟ إنهم بانتظارك من أجل الرحيل .. »

ثم سمعت صوت الخطوات الثقيلة .. يبدو أنهم متجهون إلى الباب . . .

الأمر غريب ومعقد .. لو كنت مكانهم لصرت تمثالاً بالفعل وتسللت ليلاً من المعرض لأمتص دماء الحراس .. أما أن يجولوا فى الشوارع بهذا الشكل فأمر غريب ..

إن الأسماء ذات طابع رومانى لا شك فيه .. (يانوت) و(بوليان) .. وهذا يشير لشىء ما ..

اتجهت إلى الثلاجة وفتحتها ..

إن الاستحواذ يتم عن طريق شىء يحتفظ به الشخص المُستَلب .. هذه قاعدة .. على الأرجح يكون الشىء نسيجًا عضويًا يحتاج إلى مكان بارد كى لا يتلف ..

رحت أفتش وسط الرفوف .. . هذه هى المرة الثانية فى حياتى التى أفتش فيها ثلاجة (عزت) وفى المرتين وجدت ما أثار رعبى ..

بالفعل وجدت قطعة خيش مبتلة ملتفة حول شىء ..

فتحت لفافات الخيش فى حذر فوجدت .. . تلك اليد الآدمية المبتورة طويلة الأظفار ..

فى العادة يكون الموجود فى الثلاجة رأسًا بشريًا وأحمد الله على ان هذا ليس الحال هنا ..

حملت قطعة الخيش فى اشمئزاز وغادرت المطبخ وأنا أسمع تلك الجلبة على باب الشقة .. نظريتى هى أن هؤلاء بأسمائهم الرومانية جاءوا من جانب النجوم .. كانوا بحاجة إلى ثغرة لذا سيطروا على (عزت) وجعلوه يصنع هذا التمثال الغريب .. هذا التمثال صار هو الثغرة التى عبروا من خلالها لنا ..

أعتقد أنهم سيتحررون من الصلصال حالاً ليعودوا مصاصى دماء (عاديين) لو كان شىء كهذا ممكنًا ..

كنت أبحث وسط المخزن الذى وضعه (عزت) فى غرفة جوار غرفة نومه .. مخزن أقرب إلى ورشة كاملة فيها كل شىء .. كنت أعرف أن لديه حمض كبريتيك .. ماء النار كما اشتهر اسمه .. وهو يستخدمه كثيرًا فى تعامله مع المعادن ..

وجدت القارورة العملاقة ففتحتها فى حذر .. كان عنقها متسعًا يسمح لقبضتى أن تدخل .. لكنى لم أضع قبضتى .. لقد ألقيت لفافة الخيش بالداخل ثم سددت الفوهة ..

راح الحمض يفور سعيدًا بوجبته الجديدة التى راح يحولها إلى كربون نازعًا منها كل ذرة هيدروجين أو أكسجين ..

أكاد أقسم أن اليد كانت تتلوى ألمًا .. لست متأكدًا لذا قلت (أكاد) ..

فى النهاية هدأ الفوران .. ورأيت العظام تتفاعل ببطء مع الحمض الكريه ..

نهضت فى حذر متجهًا إلى باب الشقة .. هناك وجدت (عزت) راكعًا على ركبتيه وهو يمسك برأسه .. وكان يهتز بلا توقف كأن به مسًا ..

دنوت منه أكثر فعرفت .. إنه تحرر .. هذا تعبير دمية الماريونيت التى انقطع خيطها .. إنه لا يعرف أين هو ولا من هو ولا ماذا حدث ؟

وضعت يدى على كتفه .. أعتقد أنه لا خطر عليه بعد ما وجدت أداة الاستحواذ وأحرقتها .. لكن من أين جاء بها ؟ من وضعها عنده ؟

سيحتاج إلى وقت طويل قبل أن يشرح لى هذا كله ..

وقفت على باب الشقة أرمق المدخل فى الضوء الشاحب ..

إن على الكثير من أعمال النظافة قبل أن يصحو الجيران ..

كل كتل الصلصال المفتتة هذه والملقاة على رخام المدخل يجب أن تختفى ، قبل أن يسألنا الجيران أسئلة مريبة .. أسئلة لا نملك إجابة عنها ..

تمت

-٣٠-

لم أقتنع بحرف مما قاله لى (عزت) ، وكانت تجربتى عملية جدًا .. لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القطط حول صناديق القمامة .. سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لى فى حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطًا لعربة جر ، فسألت (عزت) عن رأيه .. قال فى تردد :

- « أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت فى بسمة انتصار :

- « هل رأيت ؟ كلنا نملك انطباعات معينة عن أفكار الحيوان .. وأنت تطبق ما فى عقلك الباطن .. لا احد يقبل ألا يكون الطاووس مغرورًا والحمار متضايقًا من عبوديته .. أرجو أن تنسى هذا الهراء .. »

- « وماذا عن تلك التعويذة التى حصل عليها (أنيس) رحمه الله ؟ »

- « أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لابد أنه ابتاعها فى الخارج .. ولو كنت مكانك لأعدتها لورثته لأنها قد تساوى أكثر من كل العقارات التى يفتش عنها .. »

- « معك حق .. »

فجأة همس لى فى توتر :

- « أسرع الخطوات لكن لا تركض .. »

- « لماذا ؟ »

ـ « فقط ثق بى .. »

هنا بدأت اسمع نباح هذين الكلبين العملاقين .. ذلك النباح الخفيض الموحى بالانقضاض .. وقاومت بصعوبة بالغة أن أركض وأنا أشعر بأن الوحشين موشكان على الانقضاض على من الخلف ..

فما أن ابتعدنا حتى قال (عزت) وهو يتنفس الصعداء :

ـ « سمعت الفكرة : سوف نعضهما .. سوف نعضهما ! لا تقل إنى رأيتهما فلفقت الفكرة .. »

الحقيقة أن كلامه كان منطقيًا .. لكن هذا يعنى أنه صار يملك قوة خارقة بالفعل .. إن زيارته لحديقة الحيوان يمكن أن تملأ عدة كتب ..

على كل حال افترقنا وإن نصحته بسرعة التخلص من هذه التعويذة ..



فى شقة (مصطفى) جلس (عزت) فترة يتأمل المكان بانتظار قدوم هذا الأخير ..

كانت الشقة فاخرة فعلاً .. كل شىء يوحى بالثراء لكنه ثراء لا يقصد به الاستمتاع لكن يقصد به إبهار القادمين .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفرًا .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفرًا ..

قارن فى ذهنه بين هذا الثراء الاستعراضى والثراء الآخر لوالد (مصطفى) الذى لم يرد إلا الاستمتاع شبه الطفولى .. شتان بين الرجلين ..

ـ « سوف أتخلص من ذلك الوغد ! »

دوى الصوت عاليًا فى ذهنه ..

ما معنى هذا ؟ .

ـ « هذا الصعلوك لا يستحق إلا الموت .. وأنا قادرة على ذلك متى أردت »

من جديد دوى الصوت المخيف الشبيه بالفحيح ..

جاء (مصطفى) هشًا باشًا .. وجلس وهو يعتذر عن حالة الفوضى العامة (التى لم يرها عزت) لأنه مطلق حديثًا .. لا توجد امرأة هنا ..

ـ « فقط لو يغفو لحظة ! »

هنا تصلب (عزت) .. إنه يعرف قدرته الأخيرة على قراءة أفكار الحيوانات .. هناك حيوان هنا .. حيوان يريد الفتك بضحيته .. لكن ما معنى هذا ؟

ـ « هلم انصرف يا ثقيل الظل .. كيف يسمح إنسان له هذا العود النحيل والملامح الغريبة لنفسه بأن يبقى حيًا ؟ »

هذا الكلام موجه له بالذات ! قال (عزت) وهو موشك على الجنون :

ـ « فقط أردت أن أخبرك بأمر لوح من الكتابة المسمارية وجدته عند الفقيد .. وهو .. »

ـ « مسمارية ؟ »

ـ « نعم .. كتابة السومريين والبابليين و ... »

ـ « سومريين ؟ »

ثم راح (مصطفى) يضحك عدة دقائق .. أخيرًا استطاع أن يتنفس فقال :

ـ « قلت لك لن تعفينى من هذا الهراء .. إذا وجدت سندات أو وصايا أو أوراقًا مالية فمن واجبك أن تخبرنى .. فيما عدا هذا أنت حر .. ثق أننى آخر واحد على ظهر البسيطة يمكن أن يهتم بفن أبى .. »

كان واضحًا صريحًا فجًا .. وأدرك (عزت) أن عقاب الرجل الوحيد هو أن يكون اللوح ثمينًا فعلاً .. لقد فعل ما بوسعه .. لهذا طلب الإذن بالانصراف ..

ـ « ليتك تسقط ميتًا الآن .. »

دوى الصوت فى أذنه ..

كان (عزت) الآن قد كون نظرية لا بأس بها .. هناك ثعبان فى الشقة . لا يعرف كيف دخل ولا متى، لكنه على الأرجح ينتظر لحظة أن يخلد (مصطفى) للنوم كى يلدغه .. هذا هو تفسير تلك الخواطر ..

ينذره ؟ بالطبع لا .. لن يصدقه ولسوف يسخر منه .. دعك من أن هذا الاحتمال يبدو سخيفًا فعلاً ..

هكذا انصرف (عزت) وهو يلعن أبا الجشع والفظاظة ..

★ ★ ★

عندما قرأنا بعد يومين أن جثة (مصطفى) المطعونة وجدت فى الشقة الفاخرة وحدها ، وأن رجال الشرطة عرفوا أن امرأة شوهدت تغادر الشقة فى ساعة متأخرة ، قال (عزت) غير مصدق :

ـ « قال لى إنه لا يوجد أحد معه .. »

قلت وأنا أطوى الجريدة :

ـ « لقد كذب .. كانت هناك امرأة وقد قتلته بغرض السرقة .. »

ـ « سمعت خواطر غريبة صادرة عن تفكير أفعى .. هل هو هذيان ؟ »

قلت وأنا أتثاءب وأضع اللوح على حجرى :

ـ « بالعكس .. لقد أثبتت التعويذة براعتها ودقتها .. هى لا تقرأ إلا تفكير الحيوانات ، وقد كان هناك حيوانان فى تلك الشقة ليلتها .. (مصطفى) والمرأة التى قتلته .. بالضبط هما حيوانان .. وكنت أنت تسمع خليطًا من أفكار الاثنين ، لأن التعويذة دقيقة فى قراراتها ..لقد صدقت الكلمات .. لكن يبدو أن هذا اللوح لا يعمل فى كل الأحوال .. »

قال باسمًا :

ـ « لو كان يعمل طيلة الوقت لجننت .. تصور كم الأفكار التى كنت سأسمعها من الذباب والصراصير فى المطبخ .. بالمناسبة الذباب كثير جدًا الليلة .. هش .. هش ! »

وارتطمت يده باللوح الصلصالى الذى أضعه على حجرى ..

كراش ش ش ش !

تمت

-٣١-

وصلت إلى الشقة فى وقت قصير نسبيًا ، فانا أسكن قريبًا من هذا العنوان .. وكانت لدى خطة طموح هى أن نترك فنان الأعمال المركبة الفقيد حيث هو ، ونمضى الليل عندى وفى الصباح نتخذ ما نجده ضروريًا من إجراءات ..

فتح (عزت) الباب لى وكان تأثير ما يحدث واضحًا على وجهه .. كان الأستاذ (انيس) جالسًا تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك قرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دغل فى شقة وقرد وجثة جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان .. النبض .. ضغط الدم .. . مرآة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك فى هذا ..

كان (عزت) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذه ! »

قلت فى ضيق :

- « لن يكون هناك وضع رابع لأننا سنعود لدارى الآن .. »

- « إذن على الأقل نعيده إلى الفراش .. »:

- « لك هذا .. »

وحملنا الجثة الخفيفة إلى ذلك الفراش المضحك الشبيه بخيمة أفريقية .. وخرجت نافد الصبر إلى الردهة أبغى الرحيل ، لكن (عزت) طلب أن أمهله لحظة :

- « لا أذكر إن كنت أعددت لنفسى كوب شاى أم لا .. لا أريد المجازفة باحتراق الشقة .. »

وقفت أنتظره فى ملل بالخارج حتى يفرغ من معاينة المطبخ الذى لا أعرف أين هو .. أتأمل ذلك العمل المركب القبيح .. مددت يدى أنتزع واحدة من تلك الأوراق الملصقة على الجدار فوق المرحاض ، ثم ورقة أخرى ..

هنا سمعت صوتًا يتنحنح منذرًا من خلفى ..

استدرت بسرعة فلم أر أحدًا ..

- « (عزت) .. هل هذا أنت ؟ »

لكن (عزت) كان فى المطبخ الذى لا يعلم إلا الله أين هو ..

من جديد سمعت ذلك الصوت من وراء الأشجار الصناعية .. وفجأة لمحت شيئًا يتحرك ..

أجفلت وتركت موضعى لأقترب أكثر .. هناك شخص يمشى هناك وهو ليس (عزت) .. من المجنون الذى صمم هذا الديكور ؟ بالفعل أشعر بأننى فى دغل حقيقى .. يصعب أن تتبين ما يدور هناك ..

فجأة تغيب الأضواء الواحد تلو الآخر ..

إنه الظلام ينتشر خطوة بخطوة وأنا بعد وسط هذه الأشجار ..

صحت أنادى (عزت) فجاء صوته من بعيد :

ـ « (رفعت) ! ماذا يحدث هنا ؟ »

مجموعة من الأشباح تحيط بى وأحدها يرفع سيفه ليهوى على عنقى .. صرخت وتدحرجت على الأرض ، بينما اعتادت عيناى الظلام فعرفت أننى فى القطاع الشرقى .. هذه تماثيل جوار وهذا (مسرور) السياف .. تمثاله فقط ..

أنزلق لأسفل فوق منحدر .. فقط لأشعر بالبلل .. هل كان هناك قطاع مائى فى هذه الشقة ؟ أم أنه شلال فى قطاع الغابة ؟

أنا الآن راقد وسط الحفر التى تمثل أرض القمر .. الفوهات البركانية .. النجوم قد تلاشت تمامًا مع الظلام ، لكنى أرى ذلك النيزك الفوسفورى الذى يخترق الفضاء .. أعرف أنه مجرد نموذج لكنى أشعر بأنه يتحرك ...

أشباح تحيط بى .. من جديد هى تصوب نحو رأسى المسدسات فأدرك أننى على الأرجح فى قطاع قصص رعاة البقر .. قصة (مايكل كرشتون) عن عالم الغرب تتكرر حرفيًا هنا ..

وأرفع رأسى فأرى ذلك الشىء الأقرب إلى إنسان يترنح يشق طريقه فى الظلام .. خطوته مرتبكة باحثة كأنه ينقب عن شىء ما ..

نهضت بصعوبة ورحت أتعثر وسط العشب الصناعى ..

أمد يدى فإذا بى أصطدم بجسد بشرى ..

تراجعت مذعورًا ثم تذكرت هذا الملمس .. إنه (عزت) ولا أحد سواه ..

هتف فى الظلام :

ـ « ماذا يحدث ؟ »

قلت لاهثًا :

ـ « أعتقد أنه عمل فنى مركب آخر .. يبدو أنه أراد أن يقدم عرضًا يصعب نسيانه فى ليلة مصرعه ..»

ثم أضفت:

ـ « هل تعرف كيف نصل لباب الشقة ؟ أنت تعرف المكان .. »

ـ « أعتقد هذا .. »

ورحنا نشق طريقنا لاهثين محاذرين الاصطدام بألف تمثال وألف عقبة .. إنه كمين حقيقى . فقط لم نصدق أننا خرجنا إلا عندما حدث ذلك فعلاً ..

وقفنا فى الردهة نستجمع أنفاسنا .. الظلام فى تلك الشقة تجربة مروعة حقًا .. سوف نستقل المصعد ونفر .. وفى الصباح نحاول فهم ما يدور ..

كان المصعد فى الطابق السفلى فيبدو أن هناك من نزل قبلنا .. انتظرنا عودته ثم ركبنا صامتين ..

فقط فى الطابق الثانى قال (عزت) :

- « كل هذا غير طبيعى .. إنه شيطانى .. »

قلت لاهثًا :

- « لا أعتقد .. الأمر يتعلق بدعابة عملية أخيرة أعدها لنا صديقك الموهوب هذا .. لا أعرف ما فعله لكنه استطاع أن يفزعنا بحق .. »

وخرجنا إلى الشارع المظلم نحو سيارتى ..

دنوت منها حتى صرت على مسافة عشرة أمتار ثم توقفت ..

قلت لـ (عزت) همسًا وأنا أعتصر ساعده :

- « لن نستطيع ركوبها . »

- « لماذا ؟ »

- « إن صاحبك هذا لا يمزح .. لم أر شخصًا أكثر منه جدية ! »

كنت أرى المقعد الأمامى لسيارتى .. وأرى سلويت الجالس هناك .. ذلك الوجه النحيل لشيخ ضامر فى السبعين ، كث الحاجبين له لحية من الطراز الذى يحبه الفنانون ..

كان ينتظرنا ..

وفى خفة انطلقنا فى الطريق الصامت المظلم مبتعدين .. سوف نجد تفسيرات منطقية فيما بعد لهذا كله ، وأسترد سيارتى فى الصباح .. لكن ليس الآن .. ليس الآن بالله عليك .

تمت

- ٣٢ -

شعرت بالخجل من نفسى .. أملأ الدنيا صراخًا بالتشدق بمنطقى العلمى ، ثم أتراجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذى لا يكف عن القول إن الثعابين فى منطقته غير سامة ، ثم يثب فى الهواء مترين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هززت رأسى وطلبت من (ماجى) أن تعيرنى الكشاف الذى تحمله فى حقيبتها ..

توغلت فى الغابة وأنا متوتر بحق .. ضوء الكشاف يلقى ظلالاً لعينة على كل شىء .. لكنى أعرف أنه فى اللحظة التى أعرف هذه القاعدة سوف يكون الخطر حقيقيًا ..

الجسم الوحيد الذى لن يلقى ظلال شبح خادعة هو الشبح ذاته !

أشجار فى كل مكان .. يسهل فعلاً أن يضل المرء طريقه هنا خاصة فى الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحى ورحت أحك علامات واضحة على طبقة الطحلب التى تكسو الأشجار التى أمر بها .. علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفى رحت أنادى (دانييل) بأعلى صوتى ..

كنت أشعر بالعبث وبعدم جدوى ما أقوم به ، لكنى فجأة سمعت صوت البكاء .. لم أصدق أذنى وجريت نحو مصدر الصوت لأجد ذلك الطفل المنثنى على نفسه تحت شجرة وهو يبكى بكاء يمزق نياط القلوب ..

رآنى فراح يضربنى بقبضتيه لكنى رحت أهدئ من روعه .. شكلى قد يكون مفزعًا بالنسبة للأطفال لكن هذا لن يجعلنى أتركه ..

تقريبًا حملته حملاً فى طريق العودة ، ولم أصدق عينى عندما وجدت (ماجى) وأمه حيث هما .. هكذا ألقيته على الأرض إلقاء ، فركض نحو أمه وسرعان ما غابا فى عناق طويل باك ..

سألت السيدة :

ـ « هل ترغبين فى أن نوصلك ؟ »

قالت وهى ترتجف :

ـ « بل أوصلكما أنا .. إن سيارتى قريبة .. »

بدا لنا العرض مغريًا فى هذا الليل البارد وبعد كل هذه الانفعالات .. هكذا مشينا معها حيث كانت سيارة صغيرة تقف تحت الأشجار .. وتزاحمنا فى السيارة كيفما اتفق ..

نزلنا قرب القلعة المخيفة حيث تعيش (ماجى) .. سيكون على أن أمشى حتى أبلغ الفندق الذى أقيم فيه فى البلدة . ودعنا المرأة والطفل .. لا .. لم نودع الطفل لأنه نام منذ ربع ساعة ..

قالت (ماجى) :

ـ « على الأقل كانت نهاية الأمسية هادئة مثمرة .. »

هزرت رأسى أن نعم ..

ودعتها ورحت أشق طريقى قاصدًا البلدة والفندق فالفراش والنوم .. لكنى إذ بلغت نهاية الطريق سمعت صرخة .. سوف أصاب بالهلع لو مرت دقيقة هذه الليلة من دون سماع صرخة ..

عدت أركض عارفًا أن هناك مصدرًا واحدًا لهذه الصرخة ..

كانت (ماجى) واقفة هناك عند بداية الطريق الذى يؤدى إلى قلعتها ..

رأتنى قادمًا فهتفت :

ـ « (رفعت) .. شعرت بشخص أو شىء يطاردنى .. وعندما صرخت توارى وراء هذه الأشجار .. »

لم أدر ما أقول أو ما أفعل .. التقطت حجرًا كبيرًا فوضعته فى يدها ، وتناولت حجرًا مماثلاً حملته وهمست لها :

ـ « اهدئى .. لقد وترتنا تلك المدام .. لو أن قطًا ماء لوثبنا مترين فى الهواء .. سوف تنتظرين هنا وسوف أبحث عن هذا المتسلل .. »

ـ « ولماذا لا أكون معك ؟ »

ـ « لأن هناك أكثر من طريقة لمغادرة الأشجار .. يجب أن تراقبى هذه الجهة .. »

كان قلبى يتواثب فى صدرى لكنه كان سليمًا فى تلك الأيام .. وتركتها هناك وتوغلت قليلاً وراء حزام الأشجار ان يقينى شبه تام بأننى لن أجد شيئًا ..

بعد دقائق من البحث عرفت أننى مخطئ ..

لقد كان ذلك الكلب الأعرج ينظر لى فى إشفاق وهو يحاول أن يتوارى .. ثلاث أقدام .. لابد أن عربة هشمت الرابعة .. وضعك مؤسف يا صاحبى لكنى لن أستطيع مساعدتك ما لم تتوقف عن الركض .

رحت أحاول الإمساك بالوغد لكنه كان سريع الحركة فعلاً .. . هكذا توارى وراء شجرة فهرعت لألحق به ..

طاخ !

تلقيت الضربة العاتية على جانب رأسى فشعرت بأن شريانًا انفجر هناك !

تماسكت ونظرت إلى مهاجمى فوجدتها (ماجى) .. لقد ضربتنى بقطعة الحجر عندما رأتنى أبرز من وراء الشجرة التى تقف جوارها ..

سقطت على الأرض والدم يبلل جانب عنقى وسترتى .. شعور بالغثيان يمزق أحشائى .. دوار .. صداع ..

هتفت فى جزع :

ـ « أنا آسفة ! كدت أقتلك ! »

قلت وأنا أغطى رأسى بيدى :

ـ « كدت فعلاً .. . ألم أقل لك إن التوتر سوف يقتلنا ؟ هذه المرأة قد .. قد .. .. »

قالت وهى تجفف الدم بمنديلها :

ـ « يجب أن نذهب إلى المستشفى حالاً .. »

هززت رأسى موافقًا وأضفت وأنا أنهض بصعوبة :

ـ « لا أدرى هل أدخلتنا المرأة فى دائرة التوتر فتصرفنا بحمق ، أم أنها كانت دقيقة فى نبوءتها ؟ أحدنا ما كان ليرى النهار .. والسبب امرأة لم تر العرافة وجهها بوضوح .. ألم يخطر لك صغيرتى أنك هذه المرأة ؟ »

والتقت عينانا فى حيرة على ضوء القمر الأزرق .. .. ..

تلك أشياء لن نعرف إجابتها أبدًا ..

تمت

- ٣٣ -

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراى »



لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن الطرقات ازدادت قوة .. ثم سمعوا طرقات من أعلى الكوخ .. هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التى أشعلوها ، وأدرك (هن تشو كان) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم البعض .. إنهم الآن بحاجة إلى وجبة طازجة من الدم ..

الطرقات تتزايد ..

مسئوليتك أن تحمى هؤلاء الأبرياء من خطر بدأته أنت بعد ما كبله ذلك الكاهن التاوى ..

تسمع صخبًا بالخارج .. هناك من يحدث أصواتًا لا تميزها بسبب العاصفة ..

تقول للمرأة وأنت تشير إلى السماور :

- « هذا أرز أليس كذلك ؟ سوف نفتح الباب ثم نغمرهم به ..»

- « هل تضمن النتائج ؟ »

- « ليس لنا الخيار .. هذا الكوخ سيتداعى سريعًا .. أنا كنت فى الغابة ورأيت مبلغ قوتهم .. »

نظر لك العجوز بعينين ناريتين وهمس :

- « أنت من انتزع أوراق الفو إذن ؟ »

لم ترد .. فقط حملت الإناء بين يديك واتجهت إلى الباب .. ثم صحت فى المرأة أن تفتح لك ..

جاءت نحوك مسرعة .. هنا لاحظت شيئًا غريبًا ..

إنها لا تمشى بل تحجل على ساق واحدة .. برغم هذا هى سريعة جدًا ..

نظرت فى ذعر إلى العجوز والطفل .. رأيتهما يثبان بذات الطريقة نحوك .. وفى العيون بدت نظرة شيطانية مألوفة .. أنت تذكرها لأنك رأيتها فى الغابة منذ ساعة ..

صحت فى دهشة :

- « لكن .. لا تبدون مثل .. . »

قال العجوز ضاحكًا :

- « لقد تعلمنا كيف نبدو مثلكم .. هى هى ! نتكلم ونشعل النار ونشرب الشاى .. لسنا كتلك المسوخ الشيطانية التى رأيتها فى الغاب .. لهذا لم يعرنا كاهن التاو اهتمامًا ، ولو كان أكثر حيطة لتساءل لماذا ظللنا أحياء من بين القرية كلها ؟! »

- « والأرز ؟ »

قالت المرأة وهى تفتح فمها كاشفة عن نابين عملاقين :

ـ « أنت ذقته .. هل شعرت لحظة أن هذا مذاق أرز ؟ »

ويقول العجوز وهو يحاصرك ليصير ظهرك للباب :

ـ « لقد صمدنا كثيرًا لكننا جياعٍ والبرد قارس وأنت جئت بكامل إرادتك .. نحن بحاجة إلى الدم .. دم ساخن طازج ! »

الآن حانت اللحظة ..

ركلت الإناء ليطير فى وجوههم ، ثم وثبت فى الهواء لتهبط فوق المنضدة المتداعية .. لا أحد يقدر على إمساك كاهن نافاراى بكامل وعيه .. لا أحد ..

إنهم عائدون لك ..

تثب فى الهواء من جديد ..

هنا انفتح باب الكوخ ..

اقتحم المكان رجل غريب الثياب له لحية عجيبة وفى يده عصا غليظة ، وفى اليد الأخرى إناء به شىء ما .. ومن خلف الرجل برزت مجموعة من الفلاحين أقوياء البنية مدججين بعصى غليظة ..

طوح الرجل بمحتوى الإناء فى وجوه المسوخ فالتصق الأرز اللزج نصف المطبوخ بهم .. سقطوا على الأرض وهم يصرخون ..

أخرج قصاصات من الورق الأصفر من جيبه وراح يثبت قصاصة على جبين كل منهم ..

قلت له وقد بدأت تفهم :

ـ « أنت كاهن (التاو) ! »

ـ « عدت للغابة لأرى ما حل بتلك المسوخ فلم أجدها .. عرفت أن هناك من انتزع الأوراق .. فى القرية المجاورة أخبرتهم بأن هناك ثلاثة ناجين فى هذه القرية ، فنفوا ذلك .. لقد هلكت القرية كلها عندما هاجمها الشيانج شى .. هكذا خمنت أن هؤلاء الذين رأيتهم شيانج شى امتلكوا القدرة على تغيير شكلهم .. جئت بالرجال معى لننهى أمر هؤلاء »

إذن كان هؤلاء هم من يدق الباب .. كنت أنت محبوسًا مع الشيانج شى وتحسبهم بالخارج !

الكاهن يصيح فى الفلاحين كى يحرقوا الكوخ ..

الزهرة المقدسة تنتشر وتتفتح فى كل ركن ..

ثم إنه يغادر المكان وهو يضرب الأرض بعصاه الغليظة .. يقف فى الخارج يرقب النيران تتعالى ويتأكد من دقة التطهير ..

لا أحد يقدر على قتل الشيانج شى لكن يمكنك أن تدفنهم تحت الجليد الذائب .. سرعان ما يتجمد هذا من جديد من ثم يبقون حيث هم ..

تقدم نحو الكوخ وتصيح حسب التقاليد المقدسة :

ـ « سوان هاتشاه سارايان! »

لقد أنذرتكم بأننى سأستعمل (الساراياتا) ..

قال لك الكاهن وقد سمع ما قلت :

ـ « أنت نافاراى أيها الشاب .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. »

ـ «عرفت هذا من ضفيرتك والقرط فى أذنك اليسرى ..عد لآبائك المقدسين فى الدير وعلمهم الإسراع فى دفن الموتى .. لا تدع القط يخطُ فوق رأس الميت أبدًا .. »

ثم أشار الكاهن للفلاحين فلحقوا به .. يتقدم فى الظلام وهو يضرب الأرض الجليدية بالعصا ، بينما يمشى الفلاحون المتهيبون صفًا من خلفه .. وبعد قليل يذوبون فى الظلام .. لم يسألك أن تلحق بهم لأنه يعرف أن النافاراى يعرف كيف يعنى بنفسه ..

تقف أنت وحدك ترمق النيران ..

إن لديك درسًا مهمًا لتلاميذك فى الدير عندما تعود .. سوف تحدثهم عن الشيانج شى وعن ضرورة ألا يمشى القط فوق رأس الميت ..

والدرس الأهم هو : عندما تجد شخصًا عاجزًا عن الحركة فى الغابة ، فلا تنتزع الأوراق الصفر الملتصقة بجبينه أبدًا !

تمت

ـ ٣٤ ـ

تكرر ظهور (إيرين) عدة أيام ..

للدقة .. تكرر ظهورها عدة ليال .. كنت أدخل غرفة نومى فأجدها جالسة إلى مقعد مريح ، وهى تنظر لى تلك النظرة الوادعة ثم تتكلم عن كل شىء .. عن القطط والطقس وفطائر الخوخ ..

كنت أجن وأنا أحاول أن أعرف من هى بالضبط وكيف دخلت هنا ..

أنت تفكر فى الأشباح .. فى الهلاوس .. فى الهستيريا الأنثوية المعتادة ، لكنى أقول لك بوضوح إن الأمر ليس كذلك ..

هذا مخلوق من لحم ودم يجلس أمامى .. مخلوق له ظل ويشغل حيزًا من الفراغ ..

كانت صورة المقبرة المنبوشة لا تفارق مخيلتى .. وكان ذعرى يتزايد ..

ما رأيك يا (رفعت) ؟

بإخلاص: ماجى ماكيلوب

★ ★ ★

عزيزتى :

لا أعرف ما ينبغى أن يقال .. هناك قضيتان متناقضتان لكن كل شىء فى كلامك يدل على حدوثهما معًا ..

القضية الأولى هى أن (إيرين) غادرت قبرها لتزورك ..

القضية الثانية هى أن هذا مستحيل .. لأن الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. دعك من أن مشاهداتنا العلمية تؤكد هذا .. .

قضيتان متشابكتان معقدتان ..

لقد وضع المؤلف نفسه فى ورطة ، وطريقة (كان كل هذا حلمًا) تستجلب عليه غضبة القراء ولعناتهم .. كما لا أعتقد أنه ينوى أن يجعل (إيرين) عائدة من القبر لمجرد أنه يحترمك ويثق بذكائك .. أعتقد أنه سيفضل الحل الوحيد الممكن وهو أنك تهذين أو أنك أصبت بالخبال أخيرًا ..

تخيلى معى امرأة شابة تعيش وحدها كل هذه السنين فى قلعة أثرية مخيفة ، لأنها آخر ورثة أسرة (ماكيلوب) العريقة .. قلعة فيها ما فيها من أشباح .. لابد من أن تأتى مرحلة من التصورات .. من الهستيريا .. من رؤية ما لا وجود له ..

القصة تبدو منطقية يا عزيزتى ولا أعتقد أن المؤلف سيختار حلاً آخر فلا خيار أمامه ..

لا تغضبى منى وتذكرى أن المؤلف هو المسئول الأول والأخير ..

أنا لم أختر اتهامك بالخبال .. هو فعل هذا .. ..

حافظى على نفسك وتذكرى أننى أحبك كثيرًا مهما رأيت من أشباح وموتى عائدين وحتى جيش الإسكندر الأكبر نفسه .

بإخلاص : رفعت إسماعيل

تمت

-٣٥-

بصراحة كنت أرغب فى كتابة نهاية قوية محطمة يبقى مذاقها فى فمك أطول فترة ممكنة ، لكن هذه آخر قصة فى الكتيب كله (من حيث الكتابة لا الطباعة) ، والمطبعة تنتظر النص وإلا فالويل لى ..

لن يصدر هذا الكتيب فى معرض الكتاب كما هو مفترض إذا ظللت بضعة أيام أنتظر ذلك الإلهام السامى ، وأن تتفضل هذه النهاية المراوغة فتهبط على ..

لهذا أطلب منكم أن تسامحونى ..

أنتم جئتم هنا من أجل نهاية مملة ، ويبدو أن هذه نهاية تحقق ذلك الغرض تمامًا .. . وحتى لو لم تكن مملة فهى سخيفة ومخيبة للآمال بما يكفى لتحقيق أحلامك ..

تمت

-٣٦-

هكذا رحت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل وجدته على المائدة ، ثم اتجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن (أندرو) كان محقًا .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شىء .. أيًا ما كان ما يحدث بالداخل فهو شرير .. دعك من أننى أنا بالذات لا أجد له تفسيرًا .. ..

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العباءة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسلية حقًا .. .

برغم كل شىء فتحت الباب ، لأجد ذلك الشىء الذى رأيت صورته على الشاشة ينحنى جوارِ الفراش .. برغم أننى بلغت هذه المسافة لم أستطع أن أفهم ما هو حقًا ..

توقف تفكيرى عند هذا الحد .. رسمت نصف دائرة بالشمعدان فى الهواء ثم هويت به على هذه الكتلة السوداء ، وأعتقد أننى أوجعته لأنه نهض وأطلق أنينًا عاليًا ..

وعندما التقت عينانا أدركت أنه (أندرو) ! (أندرو أروسميث) الخطيب القلق على خطيبته والذى رتب كل هذا الوضع منذ البداية ..

لكنه لم يكن (أندرو) كذلك .. كان الشر واضحًا فى قسمات وجهه .. وبرغم أن الإضاءة خافتة فإننى أدركت أن خيطًا أسود ينساب على شفته السفلى ..

صحت فى ذهول :

ـ « أنت !! »

لكن الأسئلة كانت كثيرة جدًا .. لماذا ؟ لو كان هو مصاص الدماء الذى يقودها للنهاية فلماذا طلب منى هذا الطلب ؟ لماذا أراد أن أرى هذا بعينى ؟

ونظرت إلى الفراش لأطمئن على (أليصابات) .. كانت جالسة هذه المرة وهى تتحسس عنقها والشعر يغطى وجهها .. ثم رفعت رأسها ببطء فرأيت ألعن نظرة شيطانية ماجنة عابثة .. كانت تضحك لكن ضحكتها توحى بالتخلف العقلى أو الجنون ..

ـ « هىء هىء هىء ! »

ثم بحركة خاطفة كحركات الأفاعى فى الهواء انقضت أناملها على معصمى .. لقد أمسكت به وكأن هذا الساعد البائس سقط بين فكى ملزمة ..

هذه المرة لم تكن هناك مجاملات .. هويت بالشمعدان على وجهها فسقطت على الوسادة وهى مستمرة فى الضحك كأنها دعابة صبيانية ظريفة جدًا .. أسوأ شىء فى العالم أن تشعر بأن خصمك لا يجد لضرباتك أى تأثير .. أنت تبذل أقصى ما بوسعك وهو يعتبرها دعابات مسلية لا أكثر ..

لكن على الأقل تخلت يدها عن معصمى .. .

وثبت إلى الخلف وواجهت بعينى (أندرو) الذى وقف يراقب كل هذا فى استمتاع كأنه فى السيرك .. ومن جديد سألته :

ـ « لماذا ؟ »

قال وهو يمد يده لها :

ـ « أنت تصرفت بحماقة يا عزيزتى واسمحى لى أن أكون خشنًا .. . لو كانت دماء (أليصابات) تُمتص فلابد أن هناك من يفعل ذلك .. ولابد أنها هى الأخرى ليست على ما يرام لو أردت رأيى .. لكن مصاص الدماء لا يستطيع أن يدخل بيتك ما لم تدعيه للدخول .. هذه قاعدة قديمة معروفة .. لابد أن يجد حيلة كى يجعلك تدعينه لبيتك .. وقد فعلت أنا ذلك .. لقد دعوت (أليصابات) بكامل إرادتك وجئت غرفتها بنفس المنطق .. »

كانت هى قد نهضت من الفراش فقالت وهى تمشى نحوى مترنحة :

ـ « هلمى (ماجى) .. لن تعرفى أبدًا كل السحر الذى يقودنا إليه (أندرو) .. فى البدء كنت مذعورة مثلك ثم عرفت أن هذا أفضل ما حدث لى فى حياتى .. »

كانا الآن يقتربان منى وأنا أتراجع بظهرى نحو الباب ..

لن أجد الوقت الكافى أبدًا .. لقد رأيت سرعتها فى الانقضاض وأعرف خيرًا من سواى أنهما سيطيران فى الهواء فى أية لحظة .. عندئذ لن يجدى الصراخ ..

إنهما يدنوان ..

يدنوان ..

وهنا تحسست العقد المتدلى من صدرى .. مددت يدى ومزقته بحركة سريعة عصبية ثم تركت حبيباته تنتثر على الأرض ..

هنا وجدتهما ينقضان على الأرض ليجمعا الحبات فى لهفة ..

لقد صدق ما سمعته عن مصاصى الدماء من أنهم لا يأتون أبدا غير مدعوين .. إذن لا يوجد ما يمنع من أن تصدق مقولة أخرى حول إنهم مصابون بوسواس قهرى ، وأنهم لا يتركون شيئًا على الأرض إلا وجمعوه .. كانوا فى القرون الوسطى ينصحون الناس بأن يحملوا بعض البازلاء أو الحبوب فى جيوبهم ؛ لينثروها على الأرض كى ينشغل مصاص الدماء بجمعها ، وهذا يتيح لهم وقتًا للهرب .. الغريب أيضًا أنهم يضعون البذور فى القبر حول مصاص الدماء فيظل يعد للأبد ..(*) ..

لقد انتثر العقد على الأرض فلم يقاوما تلك الغريزة ..

هكذا جريت أغادر الغرفة ، وأغلقت الباب خلفى .. وخلال ثلاث دقائق كنت أدق بعنف على باب (جراهام) الوفى .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يضع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت ..

(*) حقيقة ! أعنى أن هذا يقال فعلاً !

لم أقل شيئًا .. فقط طلبت منه أن يأتى معى لأن هناك متسللاً فى غرفة (أليصابات) ..

هرعنا إلى هناك وفتحنا الباب .. كما توقعت .. كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى الغرفة والستائر تتطاير من النافذة المفتوحة لكن لا أحد ..

قال وهو يرفع مسدسه :

ـ « هل الآنسة واثقة من أن ضيفتها قد أمضت ليلتها فى الفراش ؟ »

قلت فى غموض :

ـ « لست واثقة من شىء . »

وعندما عدت إلى مكتبى وجدت أن الكاميرا لم تسجل أى شىء .. لقد زالت اللحظات التى رأيتها تمامًا من ذاكرة جهاز التسجيل ، فلم تبق إلا صورتى و(جراهام) ونحن نرمق الغرفة فى ذهول ..

هكذا جلست إلى مكتبى وكتبت لك هذه الرسالة .. (رفعت) .. هل تعتقد أننى كنت أهذى ؟ هل تعتقد أن (أندرو) مصاص دماء نجح فى أن يسيطر على (ألصيابات) ويجعلها مثله ؟

ثم السؤال الأهم هل تعتقد أنهما سيعودان ؟

تمت

سلسلة الأعداد الخاصة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

٣٦



د. أحمد خالد توفيق

هذه قصة مطاطة جداً وإن كانت هي البساطة بعينها .. يمكنك أن تختار رفيقاً يناسبك .. يمكنك أن تختار نوعية الخطر الذي يجب أن تمر به وتختار النهاية التي تفضلها .. لقد حلم كثيرون بأن تحوي الحياة زر(undo) كما في برامج الكمبيوتر ليصحح أخطاءك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية الصيدلة ؟ ... لماذا فضلت (غادة) على (لمياء) ؟ لماذا التهمت السبانخ بدلاً من البازلاء ؟ ... ليتك اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه القصة تحقق لك هذا الحلم .. فقط ابدأ القراءة ، ولتكن اختياراتك حكيمة أو تبدو كذلك ..



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الثمن في مصر ٣٠٠ مـ

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم